أوضاع الطلاب الإيرانيين فى المدن الشيعية المقدسة من خلال كتاب سياحة الشرق للشيخ النجفى القوجانى

د. إيمان محمد إبراهيم عرفة(*)

مقدمة

يتناول البحث دراسة أوضاع طلاب العلوم الدينية خلال فترة مهمة من تاريخ إيران فى العصر الحديث تمتد من أواخر عصر ناصر الدين شاه إلى نهاية العصر القاجارى ، وذلك من خلال كتاب "سياحة الشرق" للفقيه الإيرانى سيد محمد حسن الشهير بالنجفى القوجانى الذى يعد من كتب الرحلات والسير الذاتية المهمة فى اللغة الفارسية. وتعتمد الدراسة على المنهجين الوصفى التحليلى والتاريخى ، وتنقسم إلى ما يلى :

تمهيد:

أولًا : التعريف بالمؤلف وأعماله

ثانيًا : أهمية كتاب سياحة الشرق

ثالثًا : إطلالة على ترجمة الكتاب للغة العربية

المبحث الأول : المدن الشيعية المقدسة وأهمية حوزاتها الدينية بالنسبة للطلاب الإيرانيين

المبحث الثانى : الأوضاع التعليمية بالحوزات والمدارس الدينية فى المدن الشيعية المقدسة

أولًا : المدارس

---

* – أستاذ مساعد بقسم اللغات الشرقية وآدابها –كلية الآداب – جامعة القاهرة .

ثانيًا : المراحل الدراسية بالحوزات الدينية

ثالثًا : إفادة القوجانى حول الدراسة الدينية فى إيران

رابعًا : إفادة القوجانى حول الدراسة الدينية فى الأراضى العراقية

المبحث الثالث :الأوضاع الاجتماعية لطلاب العلوم الدينية فى المدن الشيعية المقدسة

أولًا : الأوضاع المعيشية للطلاب وسبل كسب الرزق

ثانيًا : سكن الطلاب

ثالثًا : زواج طلاب العلوم الدينية

المبحث الرابع: موقف العلماء والطلاب الإيرانيين المقيمين بالعراق من الثورة الدستورية فى إيران

الخاتمة : وتضم نتائج البحث

التمهيد

أولًا : التعريف بالمؤلف وأعماله :

"سيد محمد حسن" الشهير بالنجفى القوجانى من رجال الدين البارزين فى بدايات القرن الرابع عشر الهجرى ، ذاع صيته بين الإيرانيين بسبب كتابه الشهير "سياحة الشرق".[١] ولد عام ١٢٩٥هـ.ق / ١٨٧٨ م فى قرية "خسرويه" النائية التابعة لمدينة قوجان [٢]. وتقع مقاطعة قوجان فى شمال محافظة خراسان المترامية الأطراف، وتعد مدينة قوجان مركز تلك المقاطعة.[٣] كان والداه من الأكراد ، وبالرغم من أن والده كان قرويًا يعمل بالزراعة إلا أنه نال قسطًا من التعليم ، و صمم على أن يدرس ابنه الأكبر العلوم الدينية [٤]، فما أن أتم ابنه "سيد محمد حسن" مراحل التعليم الأولى فى قريته حتى أرسله إلى مدينة قوجان رغم إصرار الابن على البقاء إلى جوار أبيه لمساعدته والعمل بالزراعة. وبعد ثلاث سنوات من الدراسة فى قوجان توجه إلى مشهد كى يدرس مقدمات الأدب والعلوم تفصيلًا على أيدى علماء تلك

الفترة . ثم غادرها بعد فترة إلى يزد برفقة أحد أصدقائه وتوجه إلى إصفهان التى كانت مركزاً للعلم والثقافة. وبعد وصوله إلى إصفهان أقام فى مسجد العرب، وحضر حلقات الدرس لدى عدد من العلماء ، فتلقى الحكمة عن ميرزا جهانگير القشقايى، و أصول الدين عن الشيخ عبد الكريم گزى والفقه عن السيد النجفى الإصفهانى ، وأمضى فى إصفهان أربع سنوات. [٥]

سافر قوجانى فى عهد مظفر الدين شاه إلى مدينة النجف عام ١٣١٨هـ.ق / ١٩٠٠م وهو فى الثالثة والعشرين من عمره[٦]، وحين وصل النجف سكن فى حجرة مهجورة بإحدى مدارس المدينة.وواظب على حضور الحلقات الدراسية لدى الفقيه "محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند"[٧]، وقرر استكمال الدراسة بالنجف.أحب القوجانى ذلك الفقيه حبًا جمًا ، حتى أنه انضم إليه عندما هب وآخرون من علماء النجف لتأييد الدستور ، و ذكر فى كتابه سياحة الشرق بعض المعلومات المهمة عن دور حوزة النجف فى الثورة الدستورية بإيران. وفى ١٨ رمضان عام ١٣٢٥ هـ.ق / ٢٤ أكتوبر ١٩٠٧ م تزوج فتاة من أسرة إيرانية مقيمة بكربلاء ، تسمى "سكينه بيگم"، رزق منها بأربع بنات وولد ، توفت منهن بنتان وكذلك الصبى بالعراق. [٨] وخلال إقامة القوجانى فى العراق زار عددًا من المدن العراقية المقدسة لدى الشيعة مثل كربلاء وكاظمين لزيارة العتبات .

حصل القوجانى على درجة الاجتهاد إلى جوار ضريح الإمام على بالنجف ، وأصبح له طلاب يلتفون حوله. وبعد إقامته بالنجف لعشرين عاماً عاد عام ١٣٣٨ هـ.ق / ١٩٢٠ م إلى إيران بعد وفاة والده، وزار عند قدومه مرقد الإمام الرضا بمشهد ، ثم توجه إلى قوجان تلبية لدعوة أهلها ، وهناك تصدر مقام المرجعية والقضاء الشرعى على مدى خمسة وعشرين عاماً وكذلك إدارة الحوزة العلمية بها. وفى النهاية توفى ليلة الجمعة ٢٦ من ربيع الآخر عام ١٣٦٣ هـ. ق / ١٩ إبريل ١٩٤٤. [٩] يوجد مرقده فى مدينة قوجان ، تم ترميمه بالجهود الذاتية مع بداية الثورة الإسلامية، ولكنه مهمل الآن إلى حد كبير.[١٠]

حصر "على جواد زاده" مؤلفات قوجانى فيما يلى ، ورتبها وفقًا للترتيب الزمنى [١١]:

١. "شرح دعای صباح: شرح دعاء الصباح":تاريخ تأليفه شوال ١٣٢٧هـ.ق/ أكتوبر ١٩٠٩م، وصدر عام ١٣٧٨ ش عن دار نشر "هفت" .

٢. "عذر بدتر از گناه : عذر أقبح من ذنب" : وهو مزيج من النثر الفارسی والعربی ، ويدور حول مرحلة الثورة الدستورية فی إيران ، ألفه عام ١٣٢٨ هـ . ق / ١٩١٠ م ، ويبدو أن هذا الكتاب لم ينشر حتى الآن.

٣. "حيات الاسلام فی احوال آية الملك العلّام:حياة الإسلام فی أحوال آية الملك العلام": رسالة تدور حول سيرة الفقيه محمد كاظم الخراسانی الشهير بالآخوند وبعض فضائله ، وتضم البرقيات التلغرافية والوثائق الخاصة بالآخوند فی مرحلة الثورة الدستورية. ألف هذه الرسالة عام ١٣٢٩ هـ . ق / ١٩١١م ، وصدرت عن دار نشر "هفت" عام ١٣٧٨ ش .

٤. "سياحت شرق : سياحت الشرق " ويضم هذا الكتاب سيرته الذاتية منذ الميلاد حتى عودته من النجف إلى إيران ، ألفه عام ١٣٤٦ هـ . ق /١٩٢٧م ، وقامت دار نشر"أمير كبير" بنشره عام ١٣٥١ ش .

٥. "سفری كوتاه به آبادی های اطراف قوچان : رحلة قصيرة إلى القری المحيطة بقوجان" : تاريخ تأليفه ١٣٤٨ هـ.ق / ١٩٢٩م ، ويبدو أن هذا الكتاب لايزال مخطوطاً ولم يطبع حتى الآن .

٦. "سياحت غرب يا سرنوشت ارواح بعد از مرگ : سياحة الغرب أو مصير الأرواح بعد الموت" وهو من أشهر كتبه ، سرد فيه تصوره عن حياته البرزخية بشكل قصصی ، وزوده بالآيات والأحاديث ، ألفه عام ١٣٥٢ هـ .ق/ ١٩٣٣م ونُشر عام ١٣٤٩ ش.

٧. "شرحی بر كتاب (پسران من) پل دومر آمريكايی[١٢] در زمينه اخلاق و تربيت جوانان : شرح علی كتاب (أبنائی) للأمريكی بول دومير فی مجال الأخلاق وتربية النشء " : ألف هذا الكتاب عام ١٣٥٢ هـ. ق/ ١٩٣٣م .

٨. "شرح ترجمه رساله تفاحيه بابا افضل كاشانى : شرح ترجمة الرسالة التفاحية لبابا أفضل الكاشانى"،كتبه عام ١٣٥٤ هـ.ق/ ١٩٣٥م و صدر عام ١٣٧٨ ش عن دار نشر "هفت".[١٣]

٩. " رساله اى در اثبات رجعت : رسالة فى إثبات البعث " ألفها عام ١٣٦١ هـ.ق / ١٩٤٢م. وفيما يتعلق بمؤلفاته فى الفقه الأصولى يمكن ذكر " شرح كفاية الاصول آخوند خراسانى : شرح كفاية الأصول للآخوند الخراسانى " و" تقريرات فقهى در مباحث قضا ، صوم، صلاة، رهن: مسائل فقهية فى مباحث القدر و الصوم والصلاة والرهن " ألفه فى النجف ، وكذلك رسالة "أصالة البراءة" وهو حاشية على "فرائد الأصول" للشيخ الأنصارى .

وتعتمد الباحثة على نسخة من الطبعة الثالثة لكتاب "سياحت شرق : سياحة الشرق" الصادرة عن دار نشر أمير كبير عام ١٣٦٧ ش ، وتقع فى ٦٩٦ صفحة . قام رمضان على شاكرى بتحقيق الكتاب والتقديم له وتذييله بمقال عن حياة القوجانى .

ثانياً :أهمية كتاب سياحة الشرق :

يعد كتاب "سياحة الشرق" للشيخ النجفى القوجانى من المصادر الفارسية الرئيسة التى تناولت أوضاع طلاب العلوم الدينية الإيرانيين خلال العصر القاجارى . وترجع أهمية الكتاب إلى كونه مذكرات أو سيرة ذاتية لأحد علماء الشيعة ، وصف خلاله رحلته الدراسية منذ الصبى وتنقله عبر المدن الإيرانية والعراقية فى سبيل تحصيل العلم والحصول على درجة الاجتهاد. وعلى هذا يصنف كتاب سياحة الشرق ضمن كتب السير الذاتية وكتب الرحلات فى آن واحد ، وقد استمرت هذه الرحلة أكثر من خمسة وعشرين سنة. والجدير بالذكر أن المؤلف أطلق على الكتاب "سياحة الشرق" فى إشارة إلى حياته وسيرته الذاتية ، فيقصد بالشرق الحياة منذ الولادة إلى الموت ، أما كتابه الآخر المسمى سياحة الغرب " فهو عبارة عن رسالة دينية فى بيان الحياة بعد الموت وعالم البرزخ ، واعتمد فيها فى الغالب على الآيات القرآنية والروايات الإسلامية . والهدف من سياحة الغرب تعريف الناس بالحياة بعد

الموت وتذكيرهم بذلك . ومصطلح "الغرب" يستخدم عادة فى لغة المتصوفة والعلماء الإيرانيين للتعبير عن العالم غير المادى والحياة بعد الموت ، ويستخدم نقيضه "الشرق" للتعبير عن العالم المادى والحياة على الأرض." [١٤]

يقول ابن خلدون فى مقدمته عن أهمية الرحلة ولقاء الشيوخ بالنسبة لطالب العلم: "والسبب فى ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينًا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضا فى تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم. ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين . فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فى المكان ، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم . وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية. فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال . "[١٥]

وعلى جانب آخر تعد الخواطر والمذكرات التى يدونها البعض عن أحوالهم الشخصية من الكتابات الجديرة بالقراءة خاصة إذا تميز الكاتب بالذكاء والدقة وحسن البيان ، كما أنها تحتوى على موضوعات ومعلومات من الصعب مطالعتها فى الكتب الأخرى ، وتتمتع بقدر من الصدق والبعد عن الكلفة. ومن البديهى أن هذه الكتابات لا تخلو أحيانًا من الإدعاء والتفاخر والتحيز، وقد يهتم الكاتب بأمور معينة نظرًا لشغفه بها أو اعتراضه عليها ، ولكنها غالبًا تحتوى على معلومات قيمة وتثير قضايا اجتماعية وتاريخية مهمة. وأسلوب بعض هذه المؤلفات لطيف يجذب القارئ خاصة إذا تناولت أشخاصًا حقيقيين وأحداثًا واقعية. ويطلق على هذه المؤلفات السير الذاتية ، ومنها عدة أنواع . فمن الممكن أن يهتم المؤلف

بمشاهداته الشخصية، أو يشرح أحواله وتجاربه الذاتية ويصف الطبقة التى ينتمى إليها واهتماماته وتوجهاته ، لذا تتباين أهمية هذه المؤلفات. وقد يتحلى الكاتب بالصدق الشديد فى عرض مجريات حياته الشخصية وأفكاره الداخلية ، فيبدو الكتاب كأنه نوع من الاعترافات. ويوجد فى الفارسية الكثير من هذه الكتب ، وتتباين من حيث قيمتها وأهميتها.[١٦]

تعتبر كتب الرحلات والسير الذاتية من الأجناس الأدبية التى حظت باهتمام خاص فى إيران خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة على الرغم من وجودها منذ زمن بعيد. عرض الأدباء من خلالها آراءهم وانتقاداتهم ، فلو تجاوزنا زين العابدين الشيروانى صاحب الرحلات الثلاث بستان السياحة و رياض السياحة وحدائق السياحة نجد من جملة أشهر مؤلفى كتب الرحلات پيرزاده النايينى و أحمد البهبهانى و معصومعليشاه نايب الصّدر الشيرازى و آقا النجفى القوچانى و ميرزا صالح الشيرازى ، بل أن زين العابدين المراغى فى "سفرنامه ابراهيم بيگ :كتاب رحلات إبراهيم بيك " استخدم هذا الجنس الأدبى وجعله قالباً لروايته الاجتماعية ، مع العلم بأنها رحلة خيالية وغير حقيقية ولكن أحداثها استلهمت من الواقع. وفى السنوات الأخيرة طبعت الكثير من كتب الرحلات والسير الذاتية غير المنشورة ، وإنه لمن الأمور المفيدة طبع كل ما يتم العثور عليه من أمثال هذه الكتب حتى تتوفر مواد لتدوين تاريخ إيران الاجتماعى على النحو الأمثل.[١٧]

يعد القوجانى من فقهاء الشيعة القلائل الذين دونوا سيرهم الذاتية ، فقد دون فى كتابه "سياحت الشرق" مذكرات ثلاثة وأربعين عاماً من حياته التى امتدت لثمانية وستين عامًا . وتكمن أهمية دراسة هذا الكتاب فى أنه من السير الذاتية الوثائقية المهمة ، كما أنه يعد بمثابة تقرير عن الأوضاع الاجتماعية فى إيران والحوزات العلمية الشيعية خلال العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجرى ، ويشتمل على بعض الأحداث والوثائق المتعلقة بفترة مهمة من تاريخ إيران والعراق أى مرحلة الثورة الدستورية واحتلال الإنجليز للعراق وغير ذلك ، [١٨] فكتاب سياحة الشرق يضع بين أيدى الباحثين معلومات مهمة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد

الاجتماعية، علاقة رجال الدين بالأهالى، دخل الحوزات الدينية، نمط حياة علماء الدين وأحوال المدن الإسلامية فى ذلك الزمان.[١٩]

ويقول نور الله الكسائى عن أهمية كتاب سياحة الشرق فى سياق حديثه عن مدارس طهران القديمة ومدارس إيران خلال العصر القاجارى ، وتردى أوضاع المنظومة التعليمية بها على وجه العموم: " جدير بالذكر أن ما تبقى عن هذا الوضع المتردى فى عدد قليل من مصادر العصر القاجارى جميعه إفادات قدمها رجال الدين المطلعين على تلك الأوضاع بل كانوا للأسف ضحاياه ... ومن المؤسف أن الاتهامات والافتراءات المختلفة قد وجهت إلى أولئك الذين أرادوا أن يخطوا خارج نطاق تلك الدائرة الروتينية لهذا التعليم العقيم . إن سيرة آقا نجفى الذاتية طالب المدارس القديمة والحوزات العلمية فى العصر القاجارى بمثابة الكتاب الأسود لتلك المؤسسات المثبطة للمواهب المروجة للخرافات وعن مسقط رأسه فى خسروية بقوجان والحوزات العلمية فى خراسان ويزد وإصفهان والعراق ". [٢٠] وعلى النقيض من هذا الرأى ينتقد بعض الباحثين أسلوب القوجانى فى عرض مشاهداته الشخصية وصراحته الشديدة عند تناول موضوعات مسكوت عنها فى العديد من الكتب الأخرى وخاصة ما يتعلق بالمؤسسة الدينية ، فيقول "على رضا جواد زاده" يجب تقييم كتابة السيد النجفى لسيرته الذاتية من منظورين : أولاً لاينبغى تجاهل بعض الإفادات المنصفة والنقد والتحليل العميق فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية فى العصر الدستورى ، وكذلك المفاهيم السياسية للنظام الدستورى ، ومن ناحية أخرى إلى جوار الاهتمام ببعض رؤاه حول المؤسسة الدينية يجب تناول بعض تحليلاته بحذر فيما يتعلق بعلماء الدين فى عصره .[٢١] ورغم اختلاف وجهات النظر حول أسلوب القوجانى نعتقد أن النقد اللاذع لأوضاع المجتمع الذى عاش فيه ، والجرأة الشديدة فى كشف الكثير من الأمور المسكوت عنها تعد من السمات البارزة فى كتابه سياحة الشرق.

ثالثاً : إطلالة على ترجمة الكتاب للغة العربية:

تم ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية من قبل "لجنة الهدى" ، وصدرت الترجمة فى بيروت عام ١٤١٢ هـ.ق/ ١٩٩٢م عن مؤسسة دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع تحت عنوان

"سياحة فى الشرق" . واطلعت الباحثة على ترجمة الكتاب للعربية ، فإذا بها ترجمة أدبية لطيفة ، بلغة عربية رصينة .ولما كانت الدراسة العلمية تحتاج إلى كثير من التدقيق ، ونظرًا لأن موضوع البحث الذى بين أيدينا يتناول بعض القضايا الشائكة ، كما أن بعض الألفاظ والعبارات فى الأصل الفارسى تتجاوز أحيانًا الحدود المألوفة فى تناول هذه القضايا ، فقد قامت الباحثة بعقد مقارنة بين المتن الفارسى والترجمة العربية ، تبين من خلالها أن لجنة الترجمة رغم أمانتها فى نقل النص الفارسى إلا أنها إما أغفلت بعض العبارات أو الجمل أثناء الترجمة أو قدمت المعنى للقارئ العربى بلغة أدبية مشوقة تعتمد أحيانًا كثيرة على إجمال المضمون أو الوثوب إلى المعانى دون الالتزام بترتيب النص الفارسى وتفاصيله . وفى بعض الاحيان تُرجمت بعض المصطلحات على نحو يغاير المضمون الحقيقى لهذه المصطلحات أو على أقل تقدير تُرجمت إلى مصطلح عربى مقبول لدى القارئ يحجب جزءاً من المضمون الحقيقى . ونظرًا لأن الباحثة تجيد لغة الكتاب الأصلى ، فقد قامت بوضع الترجمة العربية جانبًا ، واعتمدت كليةً على النص الفارسى. وفيما يلى نماذج للترجمة العربية لتوضيح ما سبق:

١. " آقاى ترشيزى بعد از برهۀ گفت : جناب آقا را ملاقات كردم ، پرسيدم ..."[٢٢]

الترجمة :" وبعد مدة عاد إلىّ الطالب الترشيزى وهو يقول : التقيت بالسيد اليزيدى وسألته..." [٢٣] فى حين أن الترجمة الأقرب للنص " قال السيد الترشيزى بعد برهة : التقيت جناب السيد ، وسألته..." كما أنه لاتوجد شخصية أشير إليها فى الكتاب تسمى (السيد اليزيدى) بل (اليزدى) أى الفقيه محمد كاظم اليزدى أحد مراجع التقليد الإيرانيين المقيمين فى النجف .

٢. " بر گشتيم رفتيم به حرم زيارت نموديم ، رفتيم به مدرسه ٔ دو در به حجره يكى از هم ولايتى، سه چهار روزى مانديم."[٢٤]

الترجمة : "عدنا إلى الحرم وأدينا الزيارة ، ثم ذهبنا إلى المدرسة حيث مكثنا ثلاثة أيام فى غرفة أحد الطلاب من أبناء قريتنا."[٢٥] وهنا أغفل المترجم اسم المدسة "المدرسة ذات

البابين" واكتفى بترجمتها إلى المدرسة ، فى حين أن هذه المدرسة من مدارس مشهد المعروفة آنذاك وسيرد ذكرها لاحقًا.

٣. " أبشرهم بأنه ضربت عليهم الذلة والمسكنة كه تا قيام قيامت كمر راست نكنند."[٢٦]

الترجمة : " لكن أبشرهم بأنه ضربت عليهم الذلة والمسكنة كى لا يرفعوا رؤوسهم حتى قيام ."[٢٧] وكان الأقرب ترجمتها " أبشرهم بأنه ضربت عليهم الذلة والمسكنة فلن يرفعوا رؤوسهم حتى قيام الساعة."

٤. "و چون روس عساگر خود را به ايران سوق داده و تعديات جابرانه مى نمود ، آقاى آخوند به عزم جهاد و دفاع و بيرون نمودن روس و سركوبى محمد على ميرزا حركت نمود." [٢٨]

الترجمة : " ونظرًا لغزو الجيش الروسى لإيران واعتدائهم عليها . فقد أصدر الشيخ الآخوند بهدف الجهاد وإخراج الروس من إيران وإسقاط محمد على شاه أمرًا بالتحرك نحو الكاظمية ."[٢٩] وهنا اهتم المترجم بالمضمون و الوثوب إلى المعانى دون الإلتزام بترتيب النص الفارسى وتفاصيله ، فجعل (أصدر أمرًا بالتحرك) بدلًا من (تحرك)، كما قدم عبارة (نحو الكاظمية) وهى لم ترد إلا بعد عدة جمل من نفس الصفحة .وقد ترجمتها الباحثة:" ولما كان الروس قد أرسلوا جنودهم إلى إيران ، وأخذوا فى الاعتداء بشكل متجبر ، تحرك السيد الآخوند بنية الجهاد والدفاع و إخراج الروس ودحر محمد على ميرزا ."

٥. نقل المترجم مصطلح" صلوة استيجارى [٣٠] " إلى "صلاة النيابة ، الصلاة نيابة[٣١]" فى حين أن المصطلح مستخدم باللغة العربية عند علماء الشيعة "صلاة الاستئجار" كما سيأتى لاحقًا فى سبل كسب الرزق عند الطلاب ، فالشيعة يجيزون الاستئجار للصلاة عن الأموات ، أما ترجمة المصطلح إلى "صلاة النيابة " تخفى عن القارئ المقابل المادى الذى يحصل عليه مَن يقوم بأداء تلك الصلاة.

المبحث الأول : المدن الشيعية المقدسة وأهمية حوزاتها الدينية بالنسبة للطلاب الإيرانيين

لاريب فى قداسة مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف لدى عامة المسلمين سنة وشيعة ، ولكن يوجد لدى الشيعة فضلًا عن هذه المدن ثمة ما يطلق عليها المدن المقدسة . وترجع هذه التسمية إلى ضم هذه المدن بعض المراقد والأضرحة ذات القداسة لدى الشيعة أو على وجه التحديد مراقد بعض الأئمة الاثنى عشر. وتعد مدينة مشهد الواقعة فى خراسان أكبر المدن الإيرانية ذات الطابع الدينى وذلك لأنها تضم "المشهد الرضوى" أى مرقد على بن موسى الرضا ثامن الأئمة الاثنى عشر . وتوجد بالعراق أربع مدن مقدسة لدى الشيعة ؛ النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. وترجع هذه القداسة إلى أنها تضم مايطلق عليه "العتبات المقدسة" أو "الروضات المطهرة" أى المزارات التى دُفن بها أئمة الشيعة. يوجد فى مدينة النجف مرقد على بن أبى طالب ، ويُطلق عليه الشيعة "العتبة العلوية". ويقع فى كربلاء مرقد الحسين بن على ، ويُسمى "العتبة الحسينية" ، و كذلك ضريح العباس بن على ، ويُسمى "العتبة العباسية" . وتقع فى الكاظمية "العتبة الكاظمية" التى تضم مرقدى موسى الكاظم ومحمد الجواد. وتوجد "العتبة العسكرية" فى مدينة سامراء ، وبها مرقدا الحسن العسكرى وعلى الهادى. وهناك الكثير من المزارات الأخرى بتلك المدن لها قدسية خاصة لدى الشيعة.[٣٢]

أنشئت فى هذه المدن عددًا من الحوزات والمدارس الدينية الشيعية على مر العصور ، وباتت هذه الحوزات ومدارسها تشكل مصدر جذب للعلماء والطلاب على السواء . ونحن بصدد دراسة أوضاع الطلاب الإيرانيين فى المدن الشيعية المقدسة نضع فى الصدارة مشهد والنجف وكربلاء نظرًا لأن القوجانى امضى بهذه المدن وحوزاتها العلمية الجزء الأكبر من رحلته الدراسية.

وفى هذا الإطار نشير أولًا إلى الفرق بين الحوزة العلمية وبين المدارس الدينية ، فالحوزة لها طابع معنوى ، وهى عنوان لمؤسسة دينية ضخمة تضم فروعاً واقساماً عديدة، أبرزها

التأليف والتدريس والدعوة والتوعية. أما المدرسة الدينية فإنها تشكل مَعلماً أو بناءً ، وهى تمثل أحد أهم المعالم الدينية ، وفى نفس الوقت تمثل وتجسّد الحوزة العلمية كمفهوم ، ولذا نسمع بـ (حوزة النجف) مثلاً؛ لكن هناك مدارس دينية عديدة فى هذه المدينة المقدسة، كلها تنضوى تحت مظلة هذه الحوزة.[٣٣]

اقترن قيام الدولة الصفوية فى إيران بتجديد نشاطات الحوزات العلمية الشيعية ، ومنها حوزة خراسان، فأنشئت مع مرور الوقت عدد من المدارس بمدينة مشهد على أيدى كبار علماء الشيعة ، منها مدرسة الحاج حسن التى أسسها الشيخ حسن الكرباسى (١١١٥-١١٩٠هـ.ق/ ١٧٠٣-١٧٧٦م) عند العتبة الرضوية.وارتبط التدريس فى مشهد بآل الشهيدى حتى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى. ومن العلماء البارزين بتلك الحوزة فى الفترة موضع البحث ميرزا مهدى الإصفهانى (المتوفى م١٣٦٥هـ.ق/١٩٤٦م) ، والشيخ مجتبى القزوينى (المتوفى ١٣٨٦هـ.ق /١٩٦٦م) .[٣٤]

أما النجف فقد حازت الرياسة العلمية والزعامة الدينية للشيعة من القرن الخامس الهجرى، واختلفت فى بعض العصور شدة وضعفًا ، وغدت من المراكز العلمية الشيعية الأوفر شهرة ، وإن كانت بعض المدن الشيعية قد حازت المركزية العلمية والمرجعية الدينية إلا أن أيامها لم تستمر كما دامت أيام مركزية النجف .[٣٥]

وفى كربلاء كان مرقد الحسين رضى الله عنه مهوى طلاب العلوم الدينية منذ أمد بعيد، واستمر توافد طلبة العلم على كربلاء لدراسة الفقه والتفسير والحديث والأخلاق، وكانوا يتخذون من الحجرات والزوايا فى الضريح الحسينى مكاناً للتعليم والتعلّم. ومع ازدياد أعداد الوافدين مع القرن الثانى عشر الهجرى بادر عدد من الأثرياء بتشييد العديد من المدارس الدينية، إسهاماً منهم لإعلاء شأن الحوزة العلمية بتلك المدينة[٣٦].

ازداد تعداد علماء النجف وكربلاء بشكل ملفت للنظر على مدى القرن الثالث عشر الهجرى نتيجة تحول هاتين المدينتين إلى مركزين علميين وتعليميين للتشيع . وكان العلماء ينتمون إلى ثلاث قوميات أساسية (الإيرانيين ، والأتراك الآذريين ، والعرب المحليين) ، وكان

تعداد الإيرانيين على وجه الخصوص آخذًا فى التزايد على نحو كبير. وأدت قدسية النجف وكربلاء إلى تدفق المساعدات المالية بشكل دائم ومتزايد من طرف الشيعة المتدينين والزوار الذى كانوا يدعمون علماء العتبات . وتفوقت الحوزات الدينية فى العتبات العراقية من الناحية العلمية على الحوزات الدينية فى إيران ، وكان هذا الأمر سببًا رئيسًا فى توافد العلماء. ومع هذا ظهر فى إيران علماء بارزين خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى جذبوا إليهم عددًا كبيرًا من الطلاب ، وحجبوهم من الذهاب إلى العتبات فى العراق. [٣٧]

ازدهرت الحوزة العلمية فى النجف فى القرن الرابع عشر الهجرى بالعلماء والفقهاء والمؤلفين والباحثين والطلبة من كلّ مكان ، قادمين من أقطار مختلفة ومن جنسيات شتى، وشيدت أكثر من عشرين مدرسة دينية لاستقبال الطلاب العُزّب غير المتزوجين ، واكتضت المساجد بحلقات الدرس والبحث فى الفقه والتفسير والفلسفة والعلوم العربية.[٣٨]

وبحلول منتصف القرن الرابع عشر الهجرى خلت الساحة فى إيران من العلماء ، وأصبحت العتبات فى النجف و كربلاء فى الصدارة باعتبارها المركز الأصلى للدراسات الشيعية ، وأصبح هذا الأمر سببًا فى تزايد عدد الطلاب الوافدين على تلك العتبات إلى حد بعيد.ومن الأسباب التى أثرت فى تزايد عدد العلماء ؛ حاجة المجتمع الإيرانى لرجال الدين وتنمية كوادر من الطلاب على الساحة المحلية ، فكان الطلاب يتوجهون إلى العتبات بالعراق بعد دراستهم فى موطنهم ، و أخذ عدد العلماء بالنجف فى التزايد مع توافد الطلاب الجدد الذى أتوا من أسر لا تنتمى إلى الحوزة الدينية ، وكان أغلبهم من أسر فقيرة ويسعون للانضمام إلى سلك رجال الدين. وفاق عدد الطلاب الإيرانيين تعداد الطلاب العراقيين أو اللبنانيين إلى حد كبير. ومن الأمور التى ساعدت على تدعيم مكانة علماء الدين بين الطبقات المختلفة للمجتمع الإيرانى تزايد عدد العلماء ، وتوافد الطلاب الجدد من المناطق والطبقات المختلفة وإمكانية التحاقهم بسلك العلماء ، وهو الامر الذى كان يبشر شباب

الطلاب النابهين بتقلد مناصب ومراتب رفيعة ، وهذا الامر يؤكد على الدور المحورى الذى لعبه العلماء فى تاريخ إيران منذ القرن الثالث عشر وما تلاه. [٣٩]

وإذا نظرنا إلى مسيرة القوجانى فى رحلته الدراسية عبر المدن الإيرانية والعراقية نراه قد خرج فى الثالثة عشرة من عمره من قريته إلى مدينة قوجان بصحبة أبيه المزارع الذى كان يأمل أن يصبح من مراجع التقليد ذائعى الصيت مثل ميرزا حسن الشيرازى صاحب الفتوى الشهيرة بتحريم الدخان[٤٠] ، فيقول والده مخاطبًا ابنه:"بالطبع أتمنى لو أمكن أن تصبح مثل الحاج ميرزا حسن الشيرازى المقيم بسامراء والذى يقلده الناس بل المسلمون ، فقلت : هذا غير ممكن ..... وأتيت إلى المنزل وحملت كتابى الذى بلغت قيمته أربعة قرانات[٤١] ، وسميت بسم الله وذهبت إلى المدرسة للدراسة ، وكان ذلك عام ١٣٠٨ هـ.ق / ١٨٩٠م وعمرى آنذاك ثلاث عشرة سنة." [٤٢]

لم يمكث القوجانى كثيرًا فى تلك المدينة ، فانتقل منها إلى مدينة مشهد عبر مدينتى سبزوار ونيسابور لاستكمال دراسته ، وظل يدرس بتلك الحوزة إلى أن انتقل إلى إصفهان ، وكان خروجه من مشهد إلى يزد بغية الوصول إلى إصفهان "بعد مرور عدة أشهر من اغتيال ناصر الدين شاه" [٤٣] وبالنظر إلى أن القوجانى قد ولد عام ١٢٩٥هـ.ق / ١٨٧٨ م وإلى أن ناصر الدين شاه قد اغتيل فى ١٧ ذى الحجة ١٣١٣هـ/ الفاتح من مايو١٨٩٦ م [٤٤] ، على هذا يكون قد غادر مشهد فى الثامنة عشرة من عمره . ولم يستقر به المقام فى إصفهان للدراسة فخرج صوب الأراضى العراقية وتحديدًا مدينة النجف التى كانت حوزتها مركزًا رئيسًا للعلوم الدينية كما مر سالفًا.فيقول فى ذلك : " كان وصولى إلى النجف عام ١٣١٨ هـ.ق/١٩٠٠م ، وكان حاكم إيران مظفر الدين شاه ، وكنت فى الثالثة والعشرين من العمر."[٤٥] ولم يغادرها إلا بعد عشرين عامًا عائدًا إلى بلدته ليتولى منصبى المرجعية والقضاء الشرعى.

المبحث الثانى : الأوضاع التعليمية بالحوزات فى المدن الشيعية المقدسة

لقد رأى آقا نجفى عن قرب خلال دراسته ثلاث حوزات مهمة فى ذلك العصر أى حوزات مشهد وإصفهان والنجف ، كما تعرف على الكثير من علماء الشيعة آنذاك ، وتتلمذ على يد البعض منهم . ومن هذا المنطلق يمكن أن يكون لإفاداته أهمية خاصة عن أوضاع المدارس العلمية وشخصيات رجال الدين والعلماء الشيعة .[٤٦]

أولًا : المدارس :

المدارس التى تقام فى الحوزة الدينية هى أبنية مشيّدة من غرف صغيرة لسكنى الطلبة ، مع مكتبة تتناسب مع حجم المدرسة ، ومرافق مشتركة من دورة مياه ، وملجأ تحت الأرض للهروب من حرّ أيام الصيف (السرداب) وسطح للرقود ليالى الصيف ، ولا تخصص هذه المدارس بالدرجة الأولى للدروس والمحاضرات العلمية فقط ، وإنما للسكن أيضًا . والسبب فى ذلك هو أن طالب الدراسات الدينية يترك بلده ، ويفد على الحوزة و يلتحق بالمدرسة للسكن فيها لمدة طويلة ولسنوات عديدة ، فهو يحتاج إلى مسكن يتخذه مأوىً له ، ويستقر فيه، وخاصة أن معظم الوافدين لدراسة العلوم الدينية يكونون من عوائل فقيرة ، فتبنى هذه المدارس لاستقبال القادمين لتعلم الدراسات الدينية بعد توفير أبسط وسائل الحياة فيها.[٤٧]

وقد ورد ذكر عدد من المدراس بكتاب سياحة الشرق فى عدد من المدن التى زارها المؤلف بغرض الدراسة ، ويمكن إجمالها فيما يلى :

١. مدارس مدينة مشهد :

أ. المدرسة ذات البابين (مدرسهٔ دودر) : يعود بناء هذه المدرسة إلى العصر التيمورى ، فقد بنيت فى القرن التاسع من الهجرة فى عهد شاهرخ ميرزا على يد أحد قادته إلى جوار مرقد الأمام الرضا وفى مواجهة مدرسة بريزاد . كان اسمها فى البداية المدرسة اليوسفية ، ثم تغير إلى المدرسة ذات البابين نظرًا لوجود بابين للدخول بها . وهى الآن دار لتحفيظ القرآن ، ومن بين الأماكن الأثرية فى إيران ، وتم ترميمها أكثر من مرة. تبلغ مساحتها

حوالى ستمائة متر مربع ، وتتكون من طابقين ، وتتحلى بقبتين من القيشانى الفيروزى ، وتضم اثنتين وثلاثين حجرة.[٤٨]

وحديث القوجانى عن تلك المدرسة مكتظ بالأسى و الشجون ، فيقول بعد وصوله إلى مشهد : "عدنا وزرنا الضريح ، وذهبنا إلى المدرسة ذات البابين ، وبقينا فى حجرة أحد أبناء ولايتى لثلاثة أيام أو أربعة حتى وجدت حجرة قذرة فى الطابق السفلى ، و لم يكن طلاب تلك المدرسة يحصلون على رواتب من أوقاف المدرسة، فكان المشرف عليها يأخذها لنفسه.... وبعد البقاء لعامين فى هذه الحجرة الخربة ، غادر طالب قوجانى إلى البلدة ، وكان له غرفة فى الطابق العلوى ، ومر وقت استحقاقه للغرفة ، وعلمنا أنه لن يأتى ، وأنه لا يريد تلك الغرفة ، فأخذتها ."[٤٩] ويضطر القوجانى لمغادرة الغرفة بسبب هذا المشرف الذى يستغل منصبه.

ب . **المدرسة الجديدة** (**مدرسهٔ نو**) : لا توجد معلومات عن تلك المدرسة فى المصادر و المراجع المتاحة، وربما يكون هذا الاسم الذى استخدمه القوجانى هو صفة للمدرسة لكونها حديثة الإنشاء آنذاك ، وما أورده عنها يتمثل فيما يلى : " كنت أذهب قبل آذان الفجر إلى المدرسة الجديدة الواقعة خلف مسجد گوهر شاه للمذاكرة ، وكنت أعود ولازال الجو معتمًا ".[٥٠]

ج . **مدرسة پريزاد** : يعود بناؤها للعصر التيمورى ، تقع فى الناحية الجنوبية الغربية من ضريح الإمام على بن موسى الرضا ، وفى الشمال الغربى لمسجد " گوهر شاد " ، وهذه المدرسة تعد الآن من المبانى الأثرية فى إيران ، وكانت صاحبة تلك المدرسة والقائمة على شئونها سيدة خيرة تسمى "پريزاد" من حاشية گوهر شاد زوجة السلطان التيمورى شاهرخ ميرزا . وقد رممت هذه المدرسة أكثر من مرة.[٥١]

ويأتى ذكر هذه المدرسة فى سياحة الشرق عرضًا ضمن حديث القوجانى عن المدرسة ذات البابين والمشاكل التى تعرض لها من قبل المشرف عليها مما دفعه لتركه المدرسة . ويتبين من حديث القوجانى أن الطلاب كانوا يقيمون بغرف ملحقة بتلك المدرسة ، فيقول :

فى النهاية فضلت الخروج من المدرسة والذهاب إلى القرية ، فإذا أردت الذهاب للمدرسة ثانية أكون قد جنبت نفسى معرفة مثل هؤلاء الناس ، ذهبت للقلعة وقضيت بها الشتاء ، وحل شهر رمضان فجاء إلى القلعة رفيقى وزميلى اليزدى ، وبعد شهر رمضان حضرنا إلى مدرسة پريزاد، ونزلنا بحجرة نفس الرفيق "[٥٢].

٢. **مدارس مدينة كربلاء** :

أ. **مدرسة حسن خان**: أنشئت هذه المدرسة العلمية سنة ١١٨٠هـ .ق /١٧٦٦م ، وكانت فى حينها أكبر مؤسسة علمية دينية فى كربلاء، قلما وجد نظير لها بالعتبات ، تقع فى الزاوية الشمالية الشرقية من صحن ضريح الإمام الحسين قبل أن يتم هدم جزء منها سنة ١٣٦٨هـ.ق/ ١٩٤٩م فى مشروع إنشاء الطريق الدائرى حول العتبة الحسينية . درس فيها مشاهير العلماء والمراجع خلال القرنين الأخيرين . كانت مدرسة واسعة وكبيرة جداً احتوت على سبعين غرفة وعدة قاعات، ولا تزال بقاياها قائمة حتى يومنا هذا ، أى إنها لا تزال مدرسة علمية ولكن بمساحة أقل تضم ست عشرة غرفة.[٥٣]

لم يمض القوجانى فترة طويلة بكربلاء ، ولكنه زارها أكثر من مرة ، ونزل ذات مرة بتلك المدرسة هو وأحد رفاقه ، ويدعى ميرزا حسن ، ويبدو أن الحصول على غرفة بتلك المدرسة لم يكن أمرًا عسيرًا مثل مشهد فيقول : " نزلنا فى مدرسة حسن خان ، وأصيب ميرزا حسن بالحمى لعدة أيام ، فكان مستلقيًا فى ناحية من الحجرة منتحبًا ، وأنا أبكى فى الناحية الأخرى ." [٥٤]

ب . **مدرسة الصدر**: ويطلق عليها مدرسة الصدر الأعظم النورى ، و كانت من المعاهد العلمية الدينية الرئيسة فى كربلاء ، لكن يد الهدم والتخريب طالتها فى مشروع الطريق الدائرى ، إذ كانت تقع في موقع قريب إلى الغرب من الضريح الحسينى .أنشأها المرجع الدينى الشيخ عبدالحسين الطهرانى المتوفى ١٢٨٦ هـ .ق /١٨٦٩م ، والذى سكن كربلاء قبل ذلك التاريخ بست سنوات ، حيث أوكل إليه ناصر الدين شاه القاجارى مهمة تعمير وترميم العتبات فى كربلاء والكاظمية وسامراء.وقد أنفق الشيخ الطهرانى على بناء

هذه المدرسة ثلث الإرث المتبقى من الصدر الأعظم الإيرانى ميرزا تقى خان أمير كبير المقتول سنة ١٢٦٨ هـ.ق /١٨٥٢م. [٥٥]

وقد ذكرها القوجانى بشكل عارض عند حديثه عن مأدبة أقامها أحد الطلاب الكشميريين المقيمين فى هذه المدرسة بقوله :"ذهبت فى كربلاء إلى مدرسة الصدر إلى جوار صحن سيد الشهداء لدى أحد الزملاء الكشميريين المقيم بإحدى حجراتها."[٥٦]

٣. مدارس مدينة النجف :

يحدثنا القوجانى عن المدارس الموجودة بالنجف خلال فترة إقامته بها بشىء من التفصيل، وذلك لطول إقامته بتلك المدينة ، فيقول : " عندما ذهبت للنجف لم يكن بها أكثر من ثلاث أو أربع مدارس متواضعة ، ولم يكن يُسمح للطلاب المتزوجين السكن فى المدرسة ، فكان أغلبهم يستأجرون منازل ، ومع ذلك فإن تلك المدارس كانت ضيقة جدًا يصعب العيش فيها حتى على الطلاب الفقراء الذين لا يستطيعون الاستئجار".٥٧ وفيما يلى أسماء المدارس التى ورد ذكرها بالكتاب :

أ . **مدرسة الهندى** : هى من المدارس المعلومة فى النجف ، واسعة كبيرة الساحة ، تشتمل على طابق واحد ، وقد آذنت اليوم بالخراب . كان تخطيطها فى حدود عام ١٣٢٨ هـ.ق /١٩١٠ م ، وتقع فى حى المشراق .كانت فى البداية دارًا ثم اشتراها رجل من أهالى لاهور اسمه ناصر على خان فجعلها مدرسة . [٥٨] ويقول عنها القوجانى : " فى البداية أقام الهنود مدرسة ، احتلها على الفور الهنود والكشميريون وطلاب آخرون." [٥٩]

ب . **مدرسة الأتراك** : وهذه المدرسة غير مدرسة الأتراك المعروفة بمدرسة "الإيروانى" التى أسست عام ١٣٠٥ هـ.ق / ١٨٨٧م[٦٠] نظرًا لأن القوجانى لم يكن قد وصل النجف بعد، بينما يذكر فى الكتاب أنه عاصر بنائها بقوله : " الثانية هى مدرسة بناها فى شهرين أو ثلاثة تاجر تركى مقيم بخراسان قدم إلى النجف للزيارة ، وقبل أن يسكنها الطلاب ، وبينما كان لايزال جزء من البناء لم ينته بعد ؛ حجزت بها أنا واثنان من زملائى الخراسانيين ثلاث غرف نظرًا لسابق المعرفة بالتاجر ولأننا من خراسان . وذهبنا بعد

أسبوع لنتفقد انتهاء التشييد، وجدنا المدرسة مكتظة بالأتراك ، وقد افترش الطلاب جميع الغرف وجلسوا بها ، كل منهمك فى شأنه ، وأخذوا حجراتنا نحن الثلاثة ." [٦١]

ج . **المدرسة الملحقة بصحن المرقد العلوى**: والمقصود بها فى الغالب المدرسة "الغروية" نظرًا لموقعها الذى ذكره القوجانى . أسست المدرسة "الغروية" فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، وكان ابتداء تخطيطها مع تخطيط الصحن فى الضريح العلوى ، وهى مدرسة الصحن الواقعة فى الجهة الشمالية منه ، وبابها فى الإيوان الثالث من تلك الجهة قرب الجهة الشرقية ، وكان لها فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى شأن عظيم ، وانتسب لها كثير من حملة العلم ، وكانت هذه المدرسة هى إحدى المدارس الرسمية فى النجف ولم تزل على ذلك حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فتهدمت حجراتها وسد بابها ، إلى أن أعيد تعميرها فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى . [٦٢]

ويقول القوجانى فى وصف هذه المدرسة :" ذهبنا عبر أحد إيوانات الصحن ، وعند الضلع الشمالى بالقرب من المرحاض يوجد باب ، دخلنا منه ، فوجدنا مدرسة متواضعة مهدمة تحتوى على حوالى عشر غرف فى الطابقين العلوى والسفلى ، بابها يؤدى إلى منتصف الصحن." [٦٣] وقد أقام القوجانى بإحدى الغرف الملحقة بتلك المدرسة لفترة من الوقت .

د. **مدرسة الآخوند الكبرى أى مدرسة الفقيه محمد كاظم الخراسانى** : وهى من المبانى العظيمة كثيرة الحجرات ، تقع فى طابقين ، جدرانها مكسوة بالقيشانى الملون ، وكان الفراغ من بنائها عام ١٣٢١ هـ.ق / ١٩٠٢م ، موقعها فى حى الحويش بالشارع العام الممتد من سوق باب القبلة إلى باب السور الذى يعرف بباب السقائين.وكان المتكفل بها رجل من أهالى بخارى ،[٦٤] وفى حدود عام ١٣٨٥ هـ.ق/ ١٩٦٤ م تولى محسن من طهران الإنفاق على تجديد البناء ، فاشترى بيتًا يقع على الزاوية الشمالية الشرقية من المدرسة ، وضمها إلى المدرسة ، وبنى بناءً محكماً من ثلاثة طوابق مع مكتبة واسعة.[٦٥]

ويحدثنا القوجانى عن بناء تلك المدرسة الخيرية ورغبته فى الانتقال للإقامة بها : " ذهبت إلى السيد الفقيه (محمد كاظم الخراسانى) ، وكان يشيد مؤخرًا مدرسة جديدة ، ويذهب إليها بنفسه كل يوم لفترة من الوقت، ويجلس جانبًا يتفقد البنائين والبناء بسعادة ، لأن مشاهدة أعمال التشييد وخاصة المبانى الخيرية –التى تعد نوعًا من الصدقات– يجلب السرور . وعندما أشرف الطابق الأول من المدرسة على الانتهاء ، طلبت منه أن تُخصص لى حجرة بهذه المدرسة " [٦٦]

كما أشار القوجانى فى أماكن متفرقة إلى بعض المدارس الأخرى فى عصره ، منها مدرسة حسينية الكاظمية فى مدينة الكاظمية ، ومدرسة العرب فى مدينة إصفهان .

ثانياً: المراحل الدراسية بالحوزات الدينية :

المراحل الدراسية بالحوزات تنقسم إلى ثلاث مراحل: المقدمات ، السطوح ، والخارج. ولا توجد فى الحوزات صفوف أو حلقات يجبر الطالب على الحضور فيها ، وإنّما يترك الأمر إلى الطالب نفسه، كى يختار أستاذه حسب ذوقه ووقته ومقدرته العلمية ، فالطالب إما يشارك غيره من الطلاب فى الحضور عند الأستاذ ، أو يطلب من أستاذ ما أن يدرس له وحده أو ضمن مجموعة من الطلاب.كما لا مانع للطالب من مغادرة الحلقة الدراسية أو ترك أستاذه إذا لم يستفد من الدرس ، و البحث عن أستاذ آخر. ولا توجد أماكن خاصة للتدريس والمباحثة ، وإنما تكون فى المساجد أو فى غرف المدارس أو على سطوحها أو فى سراديبها حسب الطقس والفصول الحارة والباردة ، أو قد تكون فى بعض المقابر التى تحتوى على غرفة للدفن وساحة.[٦٧] أما المراحل الدراسية بالحوزات فهى كالتالى:

مرحلة المقدمات : فى هذه الدورة ينشغل الطالب بتحصيل علم الصرف والنحو العربى والبلاغة ، فى حدود معينة ، وكذلك المنطق والأدب العربى . ودورة المقدمات لا تحدد بمدة زمنية ثابتة ، وتتوقف على مجهود الطلاب، فيمكن الانتهاء منها فى عامين ، والبعض الآخر يستمر فى التعليم من سنتين إلى أربع سنوات لكى ينهى دورة المقدمات .

مرحلة السطوح (المتوسط) : وتنقسم إلى قسمين : سطوح الفقه ، والسطوح العليا الشاملة لأجزاء من الفقه والأصول وتفسير القرآن ومقدمات فلسفية والفلك والنجوم وغير ذلك. ومدة الدراسة فى حدود أربع سنوات إلى خمس سنوات .

مرحلة بحث الخارج : يتم فيها تدريس الفقه والأصول على مستوى عال ، والطالب فى هذه المرحلة يحاول إكمال ما تعلمه فى دورة السطوح والدورة العليا للسطوح ، وهذا يتعلق بمتابعات الطالب نفسه وطريقة تفكيره . فقد يبحث فى أقسام بحث الخارج ، ويحقق بها ، فإن تمكن من الفلسفة والعرفان وسائر الدروس الأخرى ، استطاع فى بعض أوقاته ممارسة التأليف والتدريس.فالطلاب المتقدمون يحاولون جهد إمكانهم تطبيق إفادات الأستاذ مع المصادر الموجودة لديهم ، ويحققوا فيها تحقيقًا كاملًا ، ثم يحرروا ما يرونه مناسبًا ليقدموه إلى الأستاذ ليكتسبوا تأييده بإمضاء منه بعد مراجعته .والمدة الزمنية التى يمكن فيها إنهاء هذه الدورة فما بين ثمان إلى عشر سنوات . وبعض الطلاب يحاولون الحضور فى حلقات دروس لعدد من الأساتذة ، وبذا يصبحون فى هذه المرحلة ذوى استعدادات مختلفة ، تدفع بهم إلى الأمام فى حوزاتهم لبلوغ درجة الاجتهاد ، وهى آخر مراحل التكامل فى العلوم الحوزوية ، لينالوا من أساتذتهم الرخصة أو الإجازة على ما يصطلح عليها. والدورة الثانية لبحث الخارج هى المرحلة العليا النهائية فى الحوزة ، وهى دورة إكمال المطالعات واستيعاب الطلاب لعلم الأصول والفقه الاستدلالى والمباحث الدقيقة وما يتفرع منها.أما مدة الدراسة فى كل من مرحلتى بحث الخارج يصل إلى ما بين ثمانى إلى عشر سنوات ، وبعض الطلاب يشارك فى عدة دورات من بحث الخارج لكنه لا يصل أبدًا إلى مقام الاجتهاد ، وغالبًا ينشغل هكذا أفراد بفن الخطابة وإمامة مسجد المدينة أو القرية .[٦٨]

ويعطى الدارس لقبًا علميًا فى كل مرحلة ، فهو فى مرحلة المقدمات إما طالب أو مبتدئ، وفى مرحلة السطوح (المتوسط) فإنه يمنح لقب "ثقة الإسلام" ، وإذا ما أنهى مرحلة بحث الخارج أصبح "حجة الإسلام" ، وبعد حصوله على إجازة الاجتهاد يمنح لقب "آية الله" . وإذا بدأ يمارس الاجتهاد فى حلقات الدرس ، وأسس لنفسه قاعدة شعبية فى الحوزة فإنه

يلقب بـ"آية الله العظمى" . وإذا ما اتسعت قاعدة مقلديه بين جماهير الشيعة فإنه يصبح "مرجعًا للتقليد" ، ويحتفظ أيضًا بلقب آية الله العظمى. وجدير بالذكر أن الدارس يحمل لقب "السيد" إلى جانب لقبه العلمى إذا ما كان ممن ينتسبون إلى سلالة آل البيت. [٦٩]

ويستغرق الانتقال فى سلم الحوزة العلمية من مرتبة إلى أخرى سنوات طويلة خاصة فى مرحلة بحث الخارج التى يحمل الدراس بعد إتمامها لقب "حجة الإسلام". ويرتبط هذا الانتقال بثلاثة عوامل : جهد الباحث ومواهبه وسلوكه ، استقبال طلاب الحوزة وجماهير الشيعة التى تؤم المساجد له ، وتقييم المرجع الشيعى الأعلى له ولمكانته فى أوساط الحوزة العلمية. [٧٠]

ثالثاً : إفادة القوجانى حول الدراسة الدينية فى إيران:

تبدأ رحلة القوجانى لدراسة مرحلة المقدمات فى كُتاب قريته خسرويه فيقول : " ذهبت إلى الكُتاب فى سن السابعة ، فقرأت كتبًا فارسية ، ودرست مسائل علمية ، والنحو والتجويد، وحساب الجُمَّل ، ونصاب الصبيان وعددًا من الأحاجى ، تعلمت البعض من أبى والبعض الآخر من الفقيه".[٧١] ثم انتقل إلى مدينة قوجان لاستكمال دراسته : " سميت باسم الله وذهبت للمدرسة كى أتعلم وكان ذلك عام ١٣٠٨ هـ.ق / ١٨٩٠م وعمرى ثلاث عشرة سنة."[٧٢] ، ويعرض لنا ذكرياته الأليمة أثناء تلقيه العلم على يد أستاذه الذى اتخذ من تلميذه خادمًا ينظف له منزله ، ويقوم على خدمة ضيوفه ، ويذهب لقضاء حاجيات أستاذه من الخارج وفقًا لتعليمات دقيقة منه. ومن شدة البلاء يسخر مما حل به : " قلت لنفسى لقد كانت هذه الأعمال هى ما كُلفت به اليوم، لم أدرس السطوح بعد ، فإذا بى أدرس الخارج ، عجبًا لقد تقدمت فى الدراسة بهذه السرعة."[٧٣] تلك الأمور فى مجملها دفعته للانتقال إلى مدينة سبزوار لفترة من الوقت: " أمضيت بها أربعة أو خمسة شهور ، وما درسته كان ست أو سبع صفحات من (المطول[٧٤]) ونصف (الشمسية[٧٥]) ."[٧٦]

ولم يستقر بالقوجانى المقام فى سبزوار فخرج صوب مدينة مشهد للدراسة بحوزتها. وخلال حديثه عن استكمال دراسته لمرحلة المقدمات والانتقال لدورة السطوح ينعت علماء

مشهد وطلابها بالجمود الفكرى لأنهم يحرمون دراسة العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق وكذلك التصوف ، ويتمسكون بالعلوم النقلية فقط دون غيرها ، بل يتجاوز الأمر حد التحريم إلى تكفير دارسيها فيقول: " درست المطول عند فاضل الطهرانى ، درس واحد من فصل المعانى ، وتباحثت مع أخيه الأصغر أيضًا فى درس من فصل البيان بكتاب المطول ، وختمت الشمسية فى ستة شهور ، كما درست (شرح اللمعة)[٧٧] و(القوانين)[٧٨] و(المعالم)[٧٩] و(المغنى)[٨٠] ، و(شرح المطالع)[٨١] و(شرح التجريد للقوشجى)[٨٢] ، ولكننى كنت أقرأ شرح المطالع وشرح التجريد فى الخفاء ، أى كنت أذهب قبل آذان الفجر إلى المدرسة الجديدة الواقعة خلف گوهر شاه للمذاكرة ، وكنت أعود ولازال الجو معتمًا ، لأن علماء مشهد وطلابها كانوا فى الغالب مطهرين ، ويعتبرون كتب العلوم العقلية كتب ضلال ، ولو رأوا كتاب المثنوى فى حجرة طالب قاطعوه لأنه كافر ، وكانوا يعتبرون تلك الكتب نفسها نجسة ، فلا يمسون أغلفتها بأيديهم حتى وإن كانت جافة ، لاعتقادهم أنها أنجس من جلد الكلب والخنزير ، ونظرًا لأنهم لم يقرأوها ولم يعرفوها ، يظنون أنفسهم الأعلم ."[٨٣]

ثم انتقل القوجانى للدراسة بحوزة مدينة إصفهان استكمالًا لمرحلة السطوح فكان أول لقاء له بأحد كبار الفقهاء وهو الشيخ محمد تقى بن محمد الباقر الإصفهانى المعروف بالسيد النجفى مسجد شاهى المتوفى ١٣٣٢ هـ. ق / ١٩١٤م [٨٤]، وأخذ الشيخ يسأله عما درس بغية إلحاقه بحلقاته الدراسية ، إلا أن الشيخ لم يعره اهتمامًا بعدما وقف على مستواه العلمى ، وعلم أن مستوى القوجانى العلمى يفوق مستوى طلاب إصفهان ، فلم ينج الشيخ هو و عدد آخر من الأساتذة من نقد القوجانى اللاذع [٨٥]، إذ يخاطب رفيقه بقوله :" لقد فقد السيد الأمل فى حضورنا دروسه ، كما أننا صبيين . وقارن بيننا وبين طلاب إصفهان الذين لم ينتهوا بعد من "السيوطى"، ويحضرون حلقاته ، فيكسبونها حرارة ، فى حين أن السيد المسكين لايدرك أنهم لا يفهمون شيئًا ، هؤلاء السادة لا يفكرون فى تأهيل الطلاب بامتحانهم ، ليعرفوا إن كانوا مهيأين لمرحلة "الخارج" أم لا ، فهم مهتمون بحلقاتهم الحوزوية سواء فهم أولئك الطلاب أم لم يفهموا ..... كنت أذهب من حين لآخر إلى دروس السيد

النجفى وأخيه ثقة الإسلام والحاج السيد نور الله ، كانت أكثر صخبًا من حمام النساء ، الأستاذ لا يقول شيئًا ، و الطلاب لا يفهمون شيئًا. " [٨٦]

وعلى جانب آخر يشيد القوجانى ببعض العلماء الآخرين فى إصفهان ، فأعجب بدروس السيد محمد الكاشى ، ودرس عنده منظومة الحاج ملا هادى السبزوارى ، كما أثنى على السيد عبد الكريم گزى ، ودرس على يديه رسائل الشيخ ، وحازت حلقات السيد محمد باقر درچه على قدر كبير من إطراء القوجانى ، فأنهى عنده كتاب"القوانين" ، وأصر هذا الأستاذ على ضم القوجانى لحلقاته المتعلقة بمرحلة بحث الخارج ، فواظب على حضورها ، ولكنه كان يجد صعوبة فى التعلم لكثرة التعليقات التى يوردها الأستاذ أثناء الدرس.[٨٧]

وعقد القوجانى مقارنة بين حلقات الفريقين من أساتذة إصفهان، الفريق الأول الذى نال قسطًا كبيرًا من نقده لسطحية دروسه والصخب الذى يعم الحلقات الدراسية ، والفريق الآخر الذى حاز قسطًا كبيرًا من إطرائه ويمثله السيد محمد باقر درچه ، وبالرغم من ذلك يتذمر من صعوبة دروسه وكثرة شروحه وإسهابه فى التعليقات، فيقول : " إن مثل هذه الحلقات هى فى الواقع عروض مسرحية ومكان للاستعراض والتفريح ؛ لا الدرس ، لماذا نسعد بالبهتان والكذب . وكانت حلقة السيد محمد باقر مهمة ، الجميع يدون دروسه ، ويجتهد ، وهدف الأستاذ والطلاب واحد ، وهو الفهم . والدرس يكون مطولًا ومفصلًا لدرجة أننا نستمع للدرس ثلاث مرات وننسى ، وكثيرًا ما ينقل آراءً متعددة عن شخص ما ، ويرد على كل رأى بآراء أخرى عديدة ..... إن دورة أصول الدين وفقًا لأسلوب تدريسه تستغرق ستمائة عام ."[٨٨]

ويستبين من خلال إفادات القوجانى أن طالب العلم فى تلك المرحلة أى مرحلة الخارج يمكن أن يدرس لبعض الطلاب فى مرحلة المقدمات ، ويتضح ذلك من خلال حديثه عن طالب شيرازى يدرس "كتاب المطول" على يدى القوجانى نفسه ، وهذا الكتاب من الكتب الدراسية الخاصة بمرحلة المقدمات كما مر الذكر . [٨٩]

وبعد أن أمضى القوجانى عدة سنوات أنهى خلالها مرحلة السطوح ، والتحق بحلقات السيد محمد باقر درچه فى مرحلة الخارج ، تأثر بأستاذه السيد محمد الكاشى الذى كان يتعلم على يديه منظومة الحاج ملا هادى السبزوارى ، فبات يميل للرياضة الروحية والعزلة ، يقول فى هذا : " فى ذلك الوقت كان العام الثالث لبقائى فى إصفهان ..... وصرت أميل إلى قيام الليل واعتزال الناس قدر الإمكان ، نتيجة مواعظ الأستاذ الفاضل الفقيه الكاشى الذى كان يدرس لى المنظومة، وعملًا بالمعارف التى تعلمتها منه ." [٩٠]

ويتعرض القوجانى لأزمة نفسية بسبب تكرار مرضه وعلمه بوفاة زوجة أبيه واستدانته ، وهنا يلجأ لقراءة دعاء زيارة عاشوراء المرتبط بمقتل الحسين بن على لمدة أربعين يومًا لقضاء حاجته .

واعتقاد الشيعة بقراءة دعاء زيارة عاشوراء لقضاء الحاجة راسخ ومتين وخاصة إذا كان لأربعين ليلة ، وورد فى هذا عندهم : "من يقرأ زيارة عاشوراء مخلصًا فلاريب ولاشک أن ينال مقصوده ومراده ومتعلّق نيّته مطلقًا ، إلا أنه كباقى الأدعيّة إما أن يستجاب له فى دنياه إن كان ذلك من مصلحته ، وإلا فإن الله الخبير اللطيف بعباده يدخّر ذلك له إلى يوم قيامته من النعيم الأبدى..... و أما عدد الأربعين فإنّه من الأعداد المقدسة ،..... و من هذا المنطق من يريد ختمة زيارة عاشوراء فيراعى عدد الأربعين."[٩١]

وكان الحصول على درجة الاجتهاد من بين حاجات القوجانى التى قرأ دعاء الزيارة بغية قضائها ، وكذلك سداد الدين عن أبيه والمغفرة . ومن شدة اعتقاده فى هذا الدعاء وغايته الملحة فى الحصول على تلك الدرجة قرر تكرار الدعاء فى فترة أخرى ، فنقرأ عنه : " قررت أن أتلوا دعاء زيارة عاشوراء لأربعين يومًا على سطح مسجد الشاه ، وكان فى نيتى ثلاثة أشياء: سداد دين أبى ، والمغفرة ، وزيادة العلم ودرجة الاجتهاد . كنت أبدأ الدعاء قبل صلاة الظهر ، وقبل أن يحين موعد الصلاة أكون قد ختمته فى ساعتين . ولم يمر شهر بعد انتهاء الأربعين يومًا إذ كتب لى أبى قائلًا إن موسى بن جعفر سدد دينى ، فكتبت له ، بل سدده سيد الشهداء (الحسين بن على) ..... ونظرًا لأن إحدى حاجاتى التى كانت تبدو

ظاهرًا مستحيلة بقراءة دعاء زيارة عاشوراء ، فقد استجمعت قواى ، وقرأت الدعاء بهمة عالية وحذر تام فى شهرى محرم وصفر لأربعين يومًا بغرض تحقيق الغاية الأعظم، بمعنى أننى خلال الساعتين كنت أقف منتصبًا نحو القبلة فى مواجهة الشمس إلى أن انتهى الدعاء."[٩٢]

ويستفيض الكاتب فى الحديث عن الصفات التى يجدر بطالب العلم أن يتحلى بها ، ويتطرق إلى قيمة إجازة الاجتهاد ودور المجتهد :" إن للعلم مقام رفيع ، لا يجوز تعليمه لأى ماجن سيء الخلق ، فتعليمه بمثابة إعطاء السلاح لظالم لإعانته على الظلم ، بل أسوأ من بيع السلاح لمقاتل كافر، وإن منح إجازة الاجتهاد لمثل هؤلاء الأشخاص حرام أيضًا حتى وإن استحقوها ، ويكون مثلهم من أوشك أن يصبح مجتهدًا ولغته العربية غير منضبطه ، بحيث لا يستطيع أن يقرأ سطرًا باللغة العربية دون خطأ فى الإعراب ، وكثيرًا ما قابلت طلابًا من هذه الشاكلة . ومثل هذه الأمور إهانة لمقام العلم فى أنظار العامة ، وتؤدى إلى حلول نقمة كبرى على أهل العلم ، بل ضياعه بين الناس ." [٩٣] ويشد القوجانى الرحال صوب الأراضى العراقية لزيارة العتبات ، وهنا يبدأ مرحلة جديدة للدراسة خارج إيران .

رابعاً : إفادة القوجانى حول الدراسة الدينية فى الأراضى العراقية :

غادر القوجانى إصفهان بعد أن قضى بها أربع سنوات ، وتوجه إلى مدينة النجف فى الثالثة والعشرين من العمر ، وأنهى مرحلة بحث الخارج بتلك المدينة وحصل على إجازة الاجتهاد ، ولم يغادرها إلا بعد عشرين عامًا من قدومه إليها .[٩٤]

تتلمذ الكاتب على يد علماء النجف وخاصة الإيرانيين الذين كانت لهم مكانة مرموقة بالحوزات العراقية، وقدم إفادات مهمة حول هولاء العلماء ودورهم على الساحة الدينية والسياسية. كانت كربلاء أول مدينة يزورها القوجانى فور وصوله إلى الأراضى العراقية ، حيث أراد زيارة ضريحى الحسين بن على وأخيه العباس بن على من فاطمة بنت حزام . ويحدثنا الكاتب عن عادة زيارة طلاب النجف وعلمائها لكربلاء فى ذلك الوقت ، ومكانة الفقيه محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند الرفيعة بين طلاب النجف :"وصلنا كربلاء فى السادس من رجب ، وذهبنا لزيارة سيد الشهداء وأبى الفضل ، وكان طلاب النجف قد قدموا

لكربلاء فى الغالب لإحياء النصف من رجب ، كما حضر السيد الآخوند الملا محمد كاظم الخراسانى ، وظل بكربلاء منذ مطلع رجب حتى منتصفه ، وخلال هذين الأسبوعين كان يقوم بالتدريس ، ويحضر طلاب النجف دروسه لأنهم كانوا يعتبرون دروسه مغنمة ." [٩٥]

وقبيل انتهاء شهر رجب قرر القوجانى الذهاب إلى النجف لزيارة الأضرحة ، وهناك يحضر إحدى الحلقات الدراسية عند الآخوند الخراسانى ، فينبهر بعلمه ومنهجه فى التدريس ، ويقرر البقاء فى النجف لاستكمال دراسة مرحلة الخارج عنده وإعداد البحوث اللازمة لتلك المرحلة : " ذهبت فى الليلة الأولى لدرس الآخوند من باب الاستطلاع والمشاهدة فقط، وحين استمعت للدرس وأصغيت لشرحه الساحر، ندمت على ما فات من عمرى وكأننى لم أدرس قط ، وصرت مولعًا بدروسه ..... وكل ليلة كنت أذهب فيها إلى درس الآخوند ، كان شوقى وإقبالى على دروسه يزداد ، وبعد أسبوعين أعددت القلم والمحبرة والأوراق ، وقررت البقاء للدراسة والتأليف".[٩٦] وجدير بالذكر أن الكاتب كان مقلدًا لذات المرجع نفسه منذ إقامته فى إصفهان ويأخذ بالفتاوى الصادرة عنه ويعمل بها :"كنت فى ذلك الوقت مقلدًا للآخوند الملا محمد كاظم الخراسانى." [٩٧]

ولاتتغير نظرة القوجانى عن الآخوند ، ويظل يفخر بتعلمه على يديه ، ويعدد مناقبه ومآثره: " ازدهرت حلقاته الدراسية لدرجة أنه أصبح قطب التدريس فى النجف ، ومن فرط شغفى بدروسه وفهمى لها ، كدت أن أرقص أثناء الدرس ، وكنت مقبلًا بشدة على تدوين دروس الآخوند فى الفقه والأصول ، فأدونها متأملًا ما فيها." [٩٨]وواصل القوجانى قطع مرحلة الخارج بقسميها عند الآخوند ، ومع الوقت أصبح له طلاب يدرسون على يديه:" فى ذلك الوقت ١٣٢٥ هـ .ق/ ١٩٠٧م كانت قد انقضت سبع سنوات وأنا مشغول بالدراسة فى النجف ، حضرت فيها دورة ونصف من علم الأصول عند الآخوند ..... وفى تلك الفترة كنت قد كتبت بعض الشروح الدراسية على عدد من كتب الفقه ، ولكن بعد انتهائى من دورة الأصول، واظبت على حضور دورة أخرى لمجرد الاستماع، وانصبت أغلب كتاباتى وجل تفكيرى على الفقه ، وكنت دائمًا أدرس لبعض الطلاب موضوعات فى الفقه والأصول ."[٩٩]

ولا يعد الآخوند محمد كاظم الخراسانى الفقيه الوحيد الذى تلقى القوجانى العلم على يديه فى النجف ، فيذكر لنا عددًا آخر ممن حضر دروسهم لفترات متباينة . وجدير بالذكر أن الآخوند يكاد يكون الوحيد من بينهم الذى لم ينقده القوجانى ، ومن أبرز هؤلاء مرجع التقليد محمد كاظم اليزدى ، و الشيخ محمد باقر الاصطهباناتى.

أما المرجع محمد كاظم اليزدى فقد نال القسط الأكبر من سخط الكاتب بالرغم من مكانته الرفيعة فى النجف آنذاك ، فيقول :" حضرت فى البداية دروس السيد محمد كاظم اليزدى فى الفقه لخمسة أو ستة شهور ، لكننى لم أعجب بها ، فتركتها ." [١٠٠] ، ويضيف عن اليزدى فى موضع آخر "كنت أذهب لدروس السيد محمد كاظم (اليزدى) لأنهم قالوا أن دروسه فى الفقه هى الأفضل. فحضرتها لستة شهور ولم تعجبنى ، رب مشهور لا أصل له".[١٠١] وربما يكون حنق القوجانى على اليزدى نابع من أنه لم يكن يوزع الأموال الطائلة التى تصله من سهم الإمام إلا على الطلاب الذين يحضرون دروسه ، وربما أيضًا لأنه كان أبرز علماء النجف المعارضين للثورة الدستورية بينما كان الآخوند الخراسانى أشد مؤيديها وتبعه فى ذلك القوجانى ، وسنعرض للموضوعين لاحقًا.

وفى معرض ذمه لبعض المراجع المهتمين بشأن الدنيا والمعرضين عن الآخرة ملمحًا إلى اليزدى وآخرين من الفقهاء ممن على نفس الشاكلة حسب رأيه ، يقول: "من الواضح أن الساعين للرئاسة يدونون الفتاوى والمحاذير فى رسائلهم من إجل المقلدين فقط ، .... ولايحسبون أنفسهم مكلفين بها ، مثل هؤلاء العلماء كثيرون، ولا يمكن إحصاؤهم .... مثلًا يصدرون فتوى بأن الرشوة حرام ، وينقلون لمقلديهم عن الرسول بأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وهم أنفسهم لايحسبون حسابًا لأمة محمد ، ويتلقون الرشوة ، ويحبون الدنيا."[١٠٢]

ولم يكتف القوجانى بذم اليزدى فى الكتاب تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح بل أنه كتب تعليقات فى نقد بعض أعماله ومنها كتاب "العروة الوثقى" بعد أن اطلع على بعض كتب الجغرافيا التى كان اليزدى يحرمها على طلابه ضمن تحريم دراسة العلوم العقلية :"وبالرجوع إلى الجغرافيا وعلم الفلك ... تتضح أخطاء السيد محمد كاظم (اليزدى) فى العروة الوثقى

بخصوص قبلة زنجبار والحبشة وصنعاء .... ولما كنت قد حضرت دروسه فى الفقه وعلمت أنه يرتجل فى استدلاله وبراهينه، قررت أن أكتب حاشية على العروة الوثقى لتوضيح أخطائه."[١٠٣]

وفى نفس الإطار يوضح الكاتب أن دراسة العلوم العقلية على طلاب النجف كانت من المحظورات ، وأن دارسها يعد من بين الكفار ، وبالتأكيد أن هذه الفكرة لم يتبناها الطلاب من تلقاء أنفسهم بل كان الفقهاء من وراء الامر : " وكان طلاب النجف يجهلون تمامًا العلوم العقلية وعلم الكلام ، بل أن بعضهم كان يؤمن أن الغاية تنحصر فى الفروع وكثرة الأوجه الأصولية المتداولة فى المباحث اللفظية والأصول العلمية ، وأن الخوض فى العلوم العقلية وعلم الكلام وأساليب الاستدلال وإقامة البرهان سببًا للكفر والضلال ، ولذا كنا نعد من الفدائيين لأننا من بين السباقين فى هذا المجال ، ومن المروجين له ."[١٠٤] ولعل هذا الوصف يتسق تمامًا مع وصفه السابق لطلاب حوزة مشهد وعلمائها فى تجريمهم وتحريمهم دراسة العلوم العلقية.

كان القوجانى مقبلًا على دراسة الفلسفة وعلم الكلام والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم العقلية ، وهو الأمر الذى دفعه للالتحاق فى فترة من الوقت خلال إقامته بالنجف بحلقات الشيخ محمد باقر الاصطهباناتى، فقد كان هذا الشيخ يطرح قضايا فلسفية لم يكن أحد غيره من العلماء يتناولها . ونتيجة إقبال القوجانى على دروسه والترويج لها بين أقرانه ، اكتظت دروس الشيخ بالطلاب لفترة ما ، وبات الشيخ يتخذ من القوجانى أداة إعلامية له . وبعد أن نعت البعض الشيخ الاصطهباناتى بالكفر والضلال ، ترك تدريس العلوم العقلية ، والتزم بتدريس الفقه وأصول الدين ، وحث القوجانى على جمع الطلاب لدروسه التى يعقدها فى مقبرة المرجع ميرزا حسن الشيرازى. واستشعر القوجانى أن شيخه يستغله ، فنفر من حضور دورسه ومتابعتها . وينقل على لسان الشيخ محمد باقر الاصطهباناتى : " قال : أعقد العزم البدء بتدريس الفقه والأصول بعد شهر رمضان المبارك ، بشرط أن تبذل ما فى وسعك، ونظرًا لأننى اشتهرت من جراء الحديث عن تلك العلوم العقلية بالفيلسوف ، وهو تعبير عن

التسيب والإلحاد والضلال ، فابتليت من جراء ذلك بالعزلة والفقر والعوز والدين لعدة سنوات. والواقع إننى على نفس القدر من العلم فى الفقه والأصول مثل هؤلاء السادة إن لم أكن أفضل ، مثل الآخوند (محمد كاظم الخراسانى) والسيد محمد كاظم (اليزدى) وغيرهما ممن يتمتعون بمقامات رفيعة. وهذا لم يحدث إلا لتركى الفقه والأصول ، ولأننى كنت أُلقب بالفيلسوف لم يكن أحد يحضر دروسى فى الأصول إلا لهمتك ومجهودك ، فبفضلك ازداد عدد الحضور فى حلقاتى الدراسية عن العلوم العقلية من اثنين إلى مائتين ، وأريد منك أن تعقد لى حلقات فى الأصول عند مقبرة الميرزا بعد شهر رمضان المبارك ، كى لا يلحق الذل من بعدى بأطفالى هؤلاء ، وحتى لايلقى بأثاث بيتى فى الطريق بسبب تأخرى فى سداد الإيجار." [١٠٥]

المبحث الثالث :الأوضاع الاجتماعية لطلاب العلوم الدينية فى المدن الشيعية المقدسة

ونتناول فى هذا الجزء الأوضاع المعيشية للطلاب وسبل كسب الرزق عندهم ، سكن الطلاب ، و زواج طلاب العلوم الدينية :

أولًا : الأوضاع المعيشية للطلاب وسبل كسب الرزق :

كان العمل بالنسبة لطلاب العلوم الدينية من الأمور التى لايقبلها المجتمع الحوزوى فى تلك الفترة ، فعمل طالب العلم يجلب العار له ويجعله عرضة لحملة من الانتقادات من قبل رجال الدين وأقرانه الدارسين . ويوضح القوجانى هذا الأمر خلال تواجده فى مدينة مشهد للدراسة ، فبعد أن ضاقت عليه سبل العيش ، نصح أحد زملائه بالعمل سويًا فى جنى المحاصيل مقابل قران ونصف لكل منهما ، وبعد أن زاولا هذا العمل لفترة وجيزة عنفه أحد رجال الدين واصفًا عمل الطلاب بأنه مجلبة للخزى والعار إذ أن العرف السائد التفرغ للدراسة، يقول : " فى اليوم التالى عند الغروب وجدنا أحد الطلاب من نفس ولايتنا يبحث عنا بناء على توجيه من أحد أئمة الصلاة القوجانيين ، وبعد حديث مطول وعتاب شديد قال: أنا مكلف باصطحابكما معى بعيدًا عن هذا الذل والعار الذى جعل طلاب العلم يعملون أجراء". [١٠٦]

وبعد أن ترك القوجانى ورفيقه مدينة مشهد وانتقلا إلى إصفهان كمرحلة للذهاب إلى النجف لم تتحسن أحوالهما المعيشية بل ربما تدهورت للأسوأ ، فيقول: " قضيت العام الأول أنا ورفيقى الذى كان يشاركنى الطعام والشراب فى عوز ، لدرجة أننا كنا نحمل سرًا فى الرابعة ليلًا قشور البطيخ التى ألقاها الناس ، ونتقوت عليها. وحدث أن بقينا لثلاثة أيام متواصلة بلا طعام ، وفى ظهر اليوم الثالث وبعد أن انتهينا من الدرس طلبنا قرضًا من بعض الطلاب ، ولم نفلح . فاتفقنا أن يذهب كل واحد منا إلى حجرته ، وينام مثل الأيام السابقة فى إنتظار أمر الله ." [١٠٧]

ومع انتقاله للدراسة إلى الأراضى العراقية لم يتغير الحال ، فظل يعيش على الكفاف فيقول عن حياته فى النجف : " ألفت فى المأكل الجوع والعوز ، عدت من زيارة كربلاء خالى الوفاض ، ولما حل ميعاد الغذاء ذهبت إلى الحجرة ، وأخرجت من الأرفف الخبز الجاف حيث تبقت لقيمات فَسَدَ بعضها ، فأكلت منها القليل لسد الرمق وكى تنشغل بها معدتى حتى الليل ، إلى أن يحدث أمر . وفى الليل مضغت شيئًا من ذلك الخبز الجاف أيضًا لعل الغد يحمل الفرج وهَلُمَّ جَرًّا ".[١٠٨]

ويؤكد القوجانى على شيوع فكرة تفرغ طلاب العلوم الدينية فى حوار له مع زوجته فى مدينة النجف حين طلب منها أن يساعدها فى صناعة الطواقى التى تحيكها على الماكينة ، ويتضح من الحوار رفض القوجانى لفكرة تفرغ طلاب العلم وإصراره على العمل إجيرًا ، وينتقد بشدة توظيف الدين للتكسب والمتاجرة به : " قالت : حسن جدًا ، ولكن لايليق برجل الدين أن يعمل أجيرًا . فأجبتها : أنت مخطئة ، فالصحابة والأئمة كانوا جميعهم أجراء، كل ما فى الأمر سوف أؤدى ذلك العمل لساعتين أو ثلاث ساعات فى منتصف الليل كى لا يعرف أحد نظرًا لأن عمل أهل العلم فى هذا الوقت من الزمان قد أصبح مذمومًا . صارت الأعمال المذمومة مستحبة ومألوفة ، مثل أخذ أموال الناس بالحيل والدسائس التى يجيدونها، والأساليب الوقحة التى يستخدمونها، وهى فى الحقيقة متاجرة بالدين بل هى متاجرة بالمظهر ".[١٠٩]

لم تكن الحالة المادية لغالبية الدارسين تسمح لهم بتوفير نفقات الدراسة والإعاشة فى ظل تفرغهم للعلم ، فاعتمدوا بالأساس على المعونات المقدمة لهم من قبل مراجع التقليد والفقهاء . وفى الغالب لم تكن هذه المعونات تكفى لتوفير متطلباتهم المعيشية، فكانوا يلجأون لأمور أخرى لسد هذه الفجوة . ويصور لنا القوجانى سبل كسب الرزق عند طلاب العلوم الدينية فى الحوزات الدينية بالمدن الشيعية المقدسة من خلال الحديث عن نفسه وزملائه الدارسين ، وكانت أبرز تلك السبل على النحو التالى : المساعدات والمعونات من طرف مراجع التقليد الواردة من (سهم الإمام) و(صلاة الاستئجار) ، الأموال المرسلة من الأسرة ، رواتب من أموال الأوقاف المخصصة للمدارس، الشهادة على زواج المتعة بمقابل مادى ، بيع المقنيات من الكتب وأخيرًا التكسب من الزوار.

ونتناول تفصيلًا سبل كسب الرزق لدى طلاب العلوم الدينية فى المدن الشيعية المقدسة من وجهة نظر القوجانى:

١.المساعدات والمعونات من طرف مراجع التقليد الواردة من (سهم الإمام) و(صلاة الاستئجار) :

نتج عن اعتقاد الشيعة بفكرة الغيبة ووجود الإمام الغائب من نسل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدعتان كبيرتان، البدعة الأولى مرتبطة بتفسير "الخمس" الوارد بالآية الكريمة: " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[١١٠] ففسروه على أنه أرباح المكاسب والمغانم معًا ، والبدعة الثانية هى ولاية الفقيه فى المجتهدين. وأجمع فقهاء الشيعة الإمامية على أن نصف الخمس هو حق الله ورسوله والإمام الغائب ، ويجب أن يعطى للمجتهد الذى يقلده الشيعى العامى ، وأن النصف الآخر يقسم على الفقراء الهاشميين واليتامى وأبناء السبيل منهم . [١١١] وبناء على ذلك يرى الشيعة الإمامية أن الخمس يجب فيما يأتى:

أ. ما يغنمه المسلمون في الحرب من الأموال المنقولة وغيرها للكفّار الذّين يحل قتالهم.

ب. ما يستخرج من المعادن كالذهب والفضّة والنحاس والحديد والكبريت وغيرها، وكذلك النفط والفحم الحجرى، بعد طرح تكاليف الإنتاج والتصفية، شرط أن تبلغ القيمة السوقية للكمية المستخرجة منها ما يساوى قيمة خمسة عشر مثقالاً من الذهب المسكوك. أو يزيد.

ج. الكنوز، شرط أن تبلغ قيمة الكمية المستخرجة منها خمسة عشر مثقالاً من الذهب أو أكثر، ومن الفضة مائة وخمسة مثاقيل أو أكثر بعد استثناء تكاليف الإخراج.

د. ما أُخرج بالغوص من البحر أو الأنهار الكبار مما يتكون فيها اللؤلؤ والمرجان وغيرهما إذا بلغت قيمته ديناراً ذهبياً.

هـ. المال الحلال المخلوط بالمال الحرام فى بعض صوره .

ح. الأرباح السنوية المتحصلة من تجارة أو صناعة أو هدية أو زراعة أو حيازة أو أى كسب آخر بما فى ذلك أجور العمل والرواتب و... و..[١١٢]

وتسمى الحصص الثلاثة الأولى أى نصف الخمس باسم (سهم الإمام) لدى الشيعة الإمامية، والمراد هنا الإمام بوصفه رئيسًا للدولة الإسلامية ، وفى عصر الغيبة يتولى الفقيه الذى توافرت فيه الشروط والخصائص المفترضة فى الحاكم الشرعى صرف هذا السهم فى إطار ما يسمى (رضا الإمام) وهو إطار واسع يمتد ليستوعب المجالات والحقول التى تتحقق عبرها المصالح الإسلامية ومصالح جموع المسلمين الشيعة [١١٣]، ومن المجالات التى تتحقق عبرها هذه المصالح مايلى :

أ. منح المخصصات للمتفرغين للدراسات الإسلامية الدينية ، وللمتخصصين فى مجالات هداية وارشاد المسلمين.

ب. تشييد المؤسسات الدينية ، كالمدارس الدينية والمساجد والمؤسسات الخيرية ذات النفع العام الاجتماعى العام.

ج. العمل على رفع المستوى الثقافى للمسلمين عن طريق نشر الدراسات والبحوث التى تتناول مختلف جوانب الثقافة الإسلامية .

د. إعانة الفئات الفقيرة وتغطية احتياجاتها .

هـ. إعانة المسلمين الذين يتعرضون لكوارث طبيعية.

ويتخير المالك فى طريقة إيصال سهم الإمام بين:

أ. دفعه إلى الحاكم الشرعى ليقوم بانفاقه فى مجالاته المحددة

ب. إنفاقه مباشرة فى المجالات التى مرت فيما تقدم . [١١٤]

ومما هو جدير بالذكر أن الحوزات العلمية الشيعية لم تكن يومًا مرتبطة بحكومة أو دولة ، ولم تتبع أفكار الحكام وعقائدهم وتوجهاتهم ، واحتفظت الحوزة منذ تأسيسها باستقلالها المادى والمعنوى . أما مخارج الحوزة الأولية غالبًا ما تكون من النذور والموقوفات وسهم الإمام من الخمس الذى يدفعه الشيعة إلى المراجع والمجتهدين و أموال الزكاة.[١١٥]

أما ما يعرف بصلاة الاستئجار ، فيرى علماء الشيعة أنه يجوز الاستئجار للصلاة ولسائر العبادات عن الأموات، وتفرغ ذمتهم بفعل الأجير، من دون فرق بين كون المستأجر وصيًا أو وليًا أو وارثًا أو أجنبيًا .[١١٦]

ويعرض القوجانى أكثر من مشهد يدلل على تلقى طلاب العلم وخاصة فى النجف وكربلاء بعض أموال (سهم الإمام) من مرجع التقليد لتفرغهم للدراسة فى مجال العلوم الدينية ، وكذلك تكليفهم بأداء صلاة الاستئجار مقابل أجر من قبل نفس المرجع ، وعلى وجه التحديد "السيد محمد كاظم اليزدى" [١١٧] فيقول: " بينما كنت مستغرقًا فى تلك الأفكار ، أجلس بمفردى فى الحجرة الخربة دخل طالبان خراسانيان من الزملاء ، وجلسا لنصف ساعة، وسألا عن أحوالى، وأعطانى أحدهما ستة قرانات قائلًا أخذت هذه القرانات لكم من السيد محمد كاظم اليزدى ، ومضيا [١١٨]". ويقول عن صلاة الاستئجار :" نعم ، كُلفت بصلاة الاستئجار من السيد (محمد كاظم اليزدى) لعدة سنوات بعد المصالحة معه والتردد عليه ، أما أول صلاة كُلفت بها كانت عن عام كامل مقابل ثلاثة تومانات ونصف "[١١٩].

ولم تكن هذه المعونات تأتى للطلاب بشكل منتظم، ولم تسد حاجتهم من طعام وشراب وملبس وغيره ، ولم يتسم توزيعها بالعدالة وفقًا لتقرير القوجانى بل كان توزيعها أمرًا يجلب له المذلة والإهانة ، فيقول منتقدًا أسلوب اليزدى فى معاملة الطلاب ومنحهم تلك الأموال عند حديثه عن محاولته توفير تومانين أجر مرضعة لإبنته الصغيرة بعد أن رزق بتوأم من الإناث عجزت زوجته عن إرضاع أحدهما : " لم أجد مناص من توفير هذين التومانين ، فألزمت نفسى بإداء صلاة الاستئجار عن عام كامل فى شهر واحد لأسد من مقابلها المالى نفقات الطفلتين ، وتفاقم على بلاء الدهر بل بلاء الله القهار، فأصاب الروح والبدن والتفكير ، والأسوأ من ذلك احتياجى لباب السيد محمد كاظم الذى كان متكفلًا بالتمعن فى ذلى وإهانتى أنا وأمثالى ؛ وإن كانت تبدو عليه علامات السماحة. كان يحدونى الأمل أن يمنحنى صلاة لمدة سنة فى مقابل ثلاث أو أربع تومانات ، وكم ذهبت إليه من المرات فلم يكن يفتح الباب إلا مرة واحدة لمقابلته ، وفى المرات التى فُتح فيها الباب لم يلبى طلبى إلا مرة واحدة ، وكثيرًا ما رفضه . وفى بعض الأوقات التى قال لى فيها لايوجد صلاة ، كان يتسلم فى نفس المجلس عشر أو عشرين أو ثلاثين ليرة من الخمس أى مال الإمام ، ولم يكن يفكر من تلقاء نفسه أن يعطينى ليرة واحدة منها ، وعندما كانت تأتينى الجرأة لأقول له ياسيدى لم أنذر العيش من أجر صلاة الاستئجار ، اعطنى شيئًا من الثلاثين ليرة التى وضعتها فى حافظتك ، فطالما لا توجد صلاة يوجد الخمس ، كان يشير إلىّ بالسكوت"[١٢٠] .

ويصف القوجانى المعاناة التى كان يتحملها فى مقابل أداء هذه الصلاة بالأجر بقوله : "انشغلت بأداء الصلاة بجد كى انتهى منها بسرعة لأحصل على غيرها لسنة أخرى ، وكانت هذه الصلاة أسوأ من أى عمل بالسخرة يفرضه رجال البلاط على الرعية ، بل أن أداء صلاة الاستئجار عمل قبيح للغاية محفوف بالمشقة، يجعل الإنسان فى عذاب وخوف من العاقبة لروحه وعمله وبدنه، وكنت أحيانًا أصاب بتعب شديد، فألعن أبى لأنه أرسلنى إلى المدرسة ، وجعلنى فى حاجة إلى خبز الشيوخ المعممين القذر " [١٢١].

وقدر استهجان القوجانى لأسلوب المرجع محمد كاظم اليزدى فى توزيع سهم الإمام وصلاة الاستئجار على الطلاب فإنه على النقيض يمدح المرجع محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند ونزاهته فى توزيع الأموال ، فلم يكن يوزعها على الطلاب الذين يحضرون دروسه بل على الفقراء من الطلاب على العموم حتى لا يصبح تقسيم الأموال على الطلاب مرهونًا بحضورهم دروسه:"قال أحد الفضلاء ، فى السابق عندما كانت تصل الآخوند بعض الأموال ، أشرت عليه بتوزيعها بين الطلاب كالفقهاء الآخرين ، أجاب :لن أفعل حتى يواظبوا على الدروس لعامين أو ثلاثة .... وفى زماننا لم تكن تصل الآخوند أموال كثيرة ، ولم توزع إلا على الخراسانيين والإصفهانيين من الطلاب لأنهم أكثر الطلاب فقرًا ، فكان يعطى كل طالب ثلاثة تومانات فى شهر رجب فضلًا عن الطعام طوال العام ، ونفس الحال بالنسبة للأسر الفقيرة المتعففة." [١٢٢]

٢. الأموال المرسلة من الأسرة :

فى بداية الأمر كان قوجانى يتلقى بعض الأموال من والده من حين لآخر وبشكل غير منتظم لا يكفيه لسد احتياجاته ، فعند وروده إلى مدينة مشهد أرسل إلى والديه رسالة شفهية مع أحد الطلاب القوجانيين يقول : " لقد أتيت إلى مشهد بغرض الإقامة بها ، فإن وافقا على بقائى أرسلا لى تومانًا أو تومانين ، وليكتبا لى إن رغبا فى عودتى إلى سبزوار ."[١٢٣]

ويذكر فى موضع آخر وصول أموال من والده بعد فترة طويلة من إقامته بالنجف ، وهو ما يؤكد على أن تلك الأموال لم تكن تصله بشكل منتظم ، ولم يعتمد عليها بشكل أساسى فى تدبير شئون حياته ، فيقول :" بعد مرور خمس سنوات على وجودى فى النجف أرسل لى والدى خمسة تومانات." [١٢٤]

وكان القوجانى يضطر أحيانًا للاقتراض من بعض القادمين من بلدته على أن يسدد والده القرض ، ففى النجف :"قال لى أحد الرفاق لقد أتى الزوار من قرى قوجان ، علموا بوجودك هنا ، ويريدون الحضور لزيارتك ، أحدهم صهرك. فقلت إننى مفلس ، وأخجل من مقابلتهم ،

أخبرهم فى عدم حضورى أن يعطونى ما تيسر من النقود ،وسأكتب لهم إيصالًا كى يسدده لهم والدى . فأتى بعد ساعة إلى الحجرة وأعطانى خمسة تومانات ". [١٢٥]

٣. رواتب من أموال الأوقاف المخصصة للمدارس:

خصصت بعض أموال الموقوفات لتوفير رواتب للطلاب والدارسين ، ويبين لنا القوجانى أن القائمين على تلك المدارس كانوا أحيانًا يأخذون الأموال لأنفسهم ، فيقول عن فترة إقامته فى مشهد وسكنه بالمدرسة "ذات البابين" المجاورة للمشهد الرضوى : " لم يكن طلاب تلك المدرسة يحصلون على رواتب من أوقاف المدرسة ، فكان المشرف عليها يأخذها لنفسه ".[١٢٦] ويضيف عن تغير الأوضاع بعد تغير المشرف: " وفى تلك الفترة تولى الإشراف على تلك المدرسة وإدارة شئونها إمام رشتى ، أى أن المشرف الأول الذى لم يكن يعطى شيئًا من أموال الأوقاف للطلاب قد عُزل ، وأصبح السيد الرشتى يعطى خمسة قرانات شهريًا للطلاب ."[١٢٧]

ويقدم الكاتب معلومات عن تخصيص بعض أموال الموقوفات لمساعدة حديثى الزواج من الطلاب ، يقوم الشيخ "عبد الله المازندرانى"[١٢٨] بالإشراف على توزيعها ، فيقول بعد زواجه بالنجف :" ذهبنا إلى وسط الصحن ، فأتى إلينا الشيخ الجامى ، وكان من الزملاء ... وقال توجد لدى الحاج الشيخ عبد الله المازندرانى بعض الأموال الوقفية لمساعدة كل طالب حديث الزواج بخمسة عشر تومان ، سأذهب إليه وآخذها لك ."[١٢٩]

٤. الشهادة على زواج المتعة بمقابل مادى :

يصف القوجانى خلال إقامة فى مدينة مشهد معاناته شظف العيش مما جعله يشهد على زواج المتعة بمقابل مادى ، فيقول : "كنت أتباحث تلك الكتب مع رفيق لى ، ربما كان أصغر منى ولكنه شديد الذكاء ، وهو يزدى الأصل مشهدى المولد والسكن ، وكان يكفينا تومان واحد للعيش. وضاق بنا الحال حتى أننا لم نجد الخبز ذات ليلة ، ولم نجد من يقرضنا ثمنه ، فقلت لنفسى الإنسان لا يموت بلا طعام لليلة واحدة .... وبعد مرور ثلاث ساعات من الليل دخل حجرتنا أحد الفقهاء ومعه جندى ، وقال إن هذا الرجل يريد أن يتزوج زواج المتعة ، وأنا وكيل المرأة ، كن أنت أيضًا وكيلًا عنه كى نعقد العقد . وبعد العقد أعطى

الرجل قرانًا ونصف للفقيه ، فأعطانى منهم نصف قران ، وغادرا".[١٣٠] ومن تأمل خطاب قوجانى يبدو أن هذا الأمر مألوف ومتكرر ولا غرابة فيه ولا شعور بالاستحياء لا من هذا ولا ذاك.

٥. **بيع المقنيات من الكتب**:

كان الطلاب يلجأون أحيانًا لبيع مقتنياتهم من الكتب لشدة العوز والحاجة من أجل شراء الطعام ، ونطالع العديد من المشاهد التى وصف فيها القوجانى شدة فقره وحرمانه من الطعام واضطراره بيع كتبه لشراء ما يسد به جوعه ، من ذلك : " ذهب رفيقى إلى حجرته ، واستلقيت أنا فى حجرتى فوقع نظرى على رف الكتب، فأنا أملك كتبًا تساوى عشرة تومانات أو اثنى عشر تومان . الآن وقد أصبح أكل الميتة حلالًا لنا ، فإن بيع الكتب أكثر حلالًا. كيف غفلت عن بيعها بينما كدت أموت جوعًا لثلاثة أيام ..... نهضت على الفور وتصفحت الكتب....وفى النهاية بعد تردد شديد حملت كتاب المعالم الذى كنت قد اشتريته من مشهد بأربعة تومانات، وذهبت إلى دكان بيع الكتب الذى كان يبعد عن المدرسة حوالى ألف قدم، فقلت: بكم تشتريه. أجاب بقرانين. فقلت ثلاثة قرانات . فقال : لن أشترى . قلت : قرانان ونصف .قال : لن أشترى ..... فأخذت التومانين وأشتريت الكثير من الخبز والشواء وكذلك "السكنجبين[١٣١]" والثلج والنعناع ." [١٣٢]

وتطالعنا مشاهد أخرى توضح لنا بيع الطلاب كتبهم للذهاب إلى زيارة العتبات فى كربلاء التى كانت تعد للطلاب كالماء والهواء ، ومن ذلك : " فكرت فى زيارة العتبات لا للدرس ولا البقاء هناك بل للتفريح والزيارة فلربما يحل الفرج من تلك الضائقة والضغوط النفسية التى أصابتى بتعب شديد ، فبعت كتبى عدا كتابين أو ثلاثة بالفارسية ... وكان حصيلة بيعها تسعة تومانات ... وباع شيرازى يسمى ميرزا حسن –كنت أدرس له كتاب المطول –كتابه أيضًا بثلاثة تومانات ، وذهب بصحبتى ." [١٣٣]

٦. **التكسب من زوار العتبات** :

انتقد القوجانى سلوك بعض زملائه من طلاب العلوم الدينية الذين يسارعون لاستقبال زوار العتبات المقدسة فى الأراضى العراقية ، ويتفننون فى التكسب من هؤلاء الزوار مستغلين

زيهم الذى يضفى عليهم مهابة خاصة لدى الزوار فيقول : " وبعض الزملاء الآخرين يعرضون خدماتهم على الزوار المساكين حتى قبل أن يضعوا حقائبهم على الأرض ، ويأخذون منهم أموالهم بكل أنواع الحيل والتدليس ، حتى كانوا يأخذون منهم زاد سفرهم على اعتبار أنهم من طرف الفقيه أمين الشريعة أو موفق الشريعة ..... والعجيب أن هؤلاء يلقبون أنفسهم بلقب مروجى الإسلام لأنهم يأمرون الزوار بالمعروف ، ويطلبون منهم سهم الإمام من الخمس والزكاة ، بل يقولون شاركنى فى جميع أموالك المشتبه بها فتصبح حلالًا ، وتأكل من حلال ، وإلا فلن تقبل زيارتك أو عبادتك أو حجك أو طوافك . والأعجب من ذلك أنهم ينتظرون من البارئ الدرجات العالية لأنهم يروجون أحكامه."[١٣٤]

ثانياً : سكن الطلاب :

يتضح من خلال حديث القوجانى أن طلاب العلوم الدينية كانوا يقيمون فى غرف ملحقة بالمساجد أو بالمدارس خصصت لهذا الغرض أو فى بعض منازل الأوقاف . ويتبين كذلك أن الحصول على إحدى هذه الغرف لم يكن بالأمر اليسير ، بل أن أزمة السكن بالنسبة للطلاب كانت تدفعهم أحيانًا للدخول فى صراعات مع أقرانهم ، كما أن بعض هذه الغرف لم تكن مناسبة لإقامة الطلاب إما لضيقها أو للقذارتها .

أقام القوجانى لمدة عامين بعد وصوله إلى مدينة مشهد فى غرفة قذرة وخربة –على حد وصفه – بالطابق السفلى ملحقة بالمدرسة "ذات البابين" المجاورة للمشهد الرضوى أى مرقد الإمام على بن موسى الرضا ثامن الأئمة الاثنى عشر ، وكلما خلت غرفة أفضل فى هذه المدرسة حاول القوجانى الانتقال إليها، إلا أن إمام الصلاة المشرف على المدرسة كان يقدم له وعودًا زائفة ، ويعطى الحجرة إلى طلاب آخرين ، وهو ما دفعه لترك الإقامة بالمدرسة حانقًا على هذا المشرف واصفًا إياه بأبشع الصفات .[١٣٥] وحاول زملاؤه اقناعه بالعودة إليها إليها ولكنه رفض رفضًا تامًا ،وقرر مغادرة مشهد فيقول: "صمم رفاقى بالمدرسة "ذات البابين" أن أعود إليها وإخلاء غرفة لى والحصول إيضًا على راتب قدره تومان ، فقلت لو أن تلك المدرسة مليئة بالجواهر لن أحضر ، وأنا بالأساس متردد فى البقاء بمشهد ، ولا أريد أن

يقع نظرى على هؤلاء الكذابين المدلسين ، وأخشى أن تصبح حصيلة تدينى ؛ تعلمى أيضًا نفس المنهاج ." [١٣٦]

قضى القوجانى عدة سنوات فى إصفهان ، وخلال تلك الفترة أقام فى حجرة علوية ملحقة بمسجد الشاه مطلة على المأذنة الغربية[١٣٧] ، منحه إياها الشيخ محمد على المعروف بثقة الاسلام [١٣٨]، ونظرًا لأن سقف تلك الحجرة كان منخفضًا لا يسمح للإنسان بالوقوف منتصبًا ، انتقل منها إلى غرفة بمدرسة العرب .[١٣٩] وبعد مغادرة إصفهان وتوجهه إلى الأراضى العراقية أقام لفترة وجيزة فى كربلاء فى مدرسة تسمى حسن خان [١٤٠]، انتقل بعدها للإقامة والاستقرار بمدينة النجف .

وكان أول مقامه فى النجف بغرفة ملحقة بمدرسة صحن المرقد العلوى ، يقول فى وصفها: "كانت حجرة خربة للغاية بالطابق السفلى ، لم يأخذها أحد خشية تهدمها وقذارتها، ولكنها كانت كبيرة امتلأ نصفها بالتراب والحجارة "، [١٤١] ورغم هذا سر القوجانى سرورًا بالغًا لحصوله عليها.

وبعد عام يحدثنا عن دعوته صديقه اليزدى مع أربعة أو خمسة من أصدقائه الطلاب لزيارة النجف والإقامة بها ، فيحضروا ، ويوفر لصديقه حجرة فى أحد منازل الأوقاف وحجرات ملحقة بصحن المسجد للآخرين . [١٤٢]

ويتضح من تقرير القوجانى أن كثرة توافد الطلاب على النجف وقلة عدد المدارس تسبب فى أزمة سكن بالنسبة لغير القادرين من الطلاب وكانوا الأغلبية ، وكان الآخوند (محمد كاظم الخراسانى) يُشرف على إسكان الطلاب بنفسه فى منازل الأوقاف ، ولم يكن يسمح للطلاب الفقراء بالزواج فى تلك المنازل لأنهم لايستطيعون الإنفاق على أنفسهم . وقد منح الآخوند حجرة صغيرة جدًا للقوجانى بأحد تلك المنازل للإقامة بها . [١٤٣]

ويذكر القوجانى أنه أنتقل للإقامة بمدرسة الآخوند الكبرى أى المدرسة التى شيدها الفقيه محمد كاظم الخراسانى ، وهنا يدور الحوار بين القوجانى والفقيه الخراسانى وابنه ميرزا مهدى:" وعندما أشرف الطابق الأول من المدرسة على الانتهاء ، طلبت منه أن تُخصص لى

حجرة بهذه المدرسة . أجاب : ما أن ينتهى البناء . ميرزا مهدى ، أعطِ للسيد أى غرفة يريدها ، وسجلها باسمه"[١٤٤]. وانتقل القوجانى للإقامة بالمدرسة بالفعل بعد ذلك.

ثالثاً : زواج طلاب العلوم الدينية :

يكشف لنا كتاب سياحة الشرق النقاب عن الكثير من الأوضاع الاجتماعية لطلاب العلوم الدينية الإيرانيين فى النجف ، من بينها عادات وتقاليد الزواج الرسمى ، وشيوع زواج المتعة بين الطلاب. وسجل القوجانى بكل صراحة ووضوح الكثير من المعلومات التى تثير الدهشة حول زواج المتعة. فيقول بينما كان يقيم فى حجرة ضيقة بأحد المنازل الوقفية بكربلاء : " رأيت فى اليوم التالى عددًا من النساء اليائسات من المحيض يترددن على هذا المنزل ، فتملكنى الضحك ، فهاهى الحور العين فى هذه الجنة التى لاتسع بعوضة. وبعد ترددهن عدة مرات ، اجتمع الرفاق ، وزوجونى بواحدة منهن بعد إلحاح شديد ، وتخلصت من خجلى شيئًا فشيئًا ". [١٤٥]

وتكرر بعد ذلك زواج القوجانى بنفس الطريقة بعد أن انتقل للإقامة بإحدى المدارس حتى أصبح عادة لديه لفترة طويلة ، ويتبين أن هذا الزواج كان بمقابل مادى يدفع فى حينها أو حتى بالأجل ، وكأنه نوع من التجارة ، فيقول :" كلما أردت زواج المتعة على مر العام ، كنت أتردد أحيانًا من مدرسة الآخوند الكبرى على ذلك المنزل الوقفى السابق الذى يسكنه رفاقى ، حيث لم يكن هذا الأمر مألوفًا فى المدارس ، وأتزوج زواج المتعة من تلك النساء اليائسات من المحيض اللاتى يترددن على ذلك المنزل ،وكن يوافقن على الزواج حتى بالدفع الآجل. وذات يوم حصلت بشق الأنفس على قران واحد ، وذهبت إلى ذلك المنزل الوقفى حيث كنت مدينًا من زواج سابق بالأجل ، لعلنى أجد تلك المرأة هناك ، فأدفع لها الدين السابق وكذلك مبلغًا نقدًا كى أنال الثواب ..... توجهت صوب المنزل الوقفى ، وفى الطريق رأيت شيئًا متلألأ على الأرض ، فأخذته ، وجدته قرانًا إيرانيًا قديمًا ..... ولحسن الحظ كانت تلك المرأة هناك ، فتمتعت بها مقابل مبلغ اثنى عشر ريالًا بعد الانتهاء ودفع الشهوة والراحة النفسية بهذا الأسلوب الحلال المستحب المؤكد .... أعطيت للمرأة ذلك القران

القديم ، خذى اثنى عشر ريالًا عن المرة السابقة ، ومثلها لتلك المرة ، واعطنى الباقى ستة عشر ريالًا. فقالت : دع الباقى للأسبوع القادم أو الشهر القادم . فأجبت : أيتها الحمقاء أنا أحتاج الستة عشر ريالًا لعدة أمور ، وأخذتها. " [١٤٦]

وبعد هذه التجارب التى ذكرها القوجانى تزوج خلال إقامته بالنجف زواجًا رسميًا بفتاة من إحدى الأسر الإيرانية المقيمة فى كربلاء . ولم يكن قوجانى يميل إلى الزواج لما يعانيه من ظروف مادية صعبة ، ولكن أحد أصدقائه يحثه على الزواج ، وينصحه بقراءة دعاء معين وإحدى سور القرآن الكريم باعتبار ذلك من العادات المألوفة عند الزواج ، وهو أقرب ما يكون إلى التوسل بالصحابة، فيقول : " فى الصباح ، وسط الصحن قال لى أحد الأصدقاء ممن كانوا معى ليلة أمس : يا فلان لو كنت تريد الزواج فعليك كالعادة بقراءة دعاء زيارة "حبيب بن مظاهر[١٤٧]" ، وصلاة ركعتين ، وقراءة سورة يس هدية لروحه ، ثم اطلب حاجتك، ولن تذهب ثانية لزيارته إلا وأنت متزوج . فقلت له : ماذا تقول ، فأجاب : ما أقوله لك أمر مجرب . فقلت : شئ سهل ، ولكن زواجى من المحال.الخلاصة ذهبت وفعلت كما أشار علىّ." [١٤٨] وظل قوجانى مترددًا بأمر الزواج ، فلجأ إلى وسيلة أخرى معمول بها لدى العلماء آنذاك ؛ ألا وهى أخذ الفأل من الرقاع عن طريق ما يسمى "الاستخارة ذات الرقاع" ، فيقول فى وصفها وعمله بها : " نهضت فى الصباح وأجريت الاستخارة ذات الرقاع ، وأخرجت من أسفل الفراش ست رقاع ، حيث كنت قد كتبت فى ثلاث منها افعل ، وفى ثلاث رقاع لاتفعل . فكانت الأولى افعل ، والثانية لا تفعل ، والثالثة والرابعة افعل . أى أن نتيجة الاستخارة طيبة ، وسيمر سريعًا فى النهاية السوء الذى ورد بالرقعة الثانية بلا تفعل ، كما هو مجرب عند العلماء"[١٤٩]. ولايزال العمل بهذه الاستخارة قائمًا إلى الآن ، ويتضح ذلك من الرد على سؤال "كيف تكون صلاة الاستخارة ؟" على الموقع الإلكترونى لمكتب المرجع الشيعى الأعلى السيد على الحسينى السيستانى. [١٥٠]

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتضح لنا مما هو قادم شيوع بعض البدع والخرافات الأخرى بين طلاب المجتمع الحوزوى ، واعتقادهم بها ؛ مثل تناول البصل ليلة السبت لسعة

الرزق ، وقراءة الطالع . وكان الأولى بهم رفضها ومحاربتها ، وتحذير الناس من الانسياق وراء مثل هذه الأباطيل. فبينما القوجانى يعانى من الفقر وهو مقدم على الزواج ، ينصحه أحد الشيوخ من رفاقه بإتيان عمل غريب وقراءة دعاء معين لجلب الرزق، ولا يمتنع طالب العلوم الدينية عن تنفيذ ما أوصاه به رفيقه بل يسارع بالتنفيذ: " قال نفس الشيخ الذى علمنى فى النصف من رجب دعاء الزواج : يا رفاق ، كل مَن يأكل البصل ليلة السبت يرزق بالمال . قال آخر شريطة أن يتناول البصل مع أول ثلاث لقيمات ، وأن يتناول الحلوى مع الشروق ، ويقول : اللهم العن اليهودى الخيبرى . ومن باب الاحتياط أتيت كل ما قيل بشروطه مثل الغريق يتشبث بكل حشيش و الفقير يدعو بكل عزيمة و يشد بكل تميمة ". [١٥١]

ولا يخلو حديث القوجانى عن زواجه من ذكر بعض البدع الأخرى السائرة بين طلاب العلم، فبينما هو متخوف من الإقدام على الزواج يلجأ لقراءة طالعه فى الزواج فيقول : "وصلت إلى النجف ، وقلبى تساوره المخاوف من هذا الأمر .كان عندى رسالة فى علم الرمل ، فقرأت طالعى عدة مرات....وأشارت أدلة الرمل إلى حسن الطالع و خير المآل ، فسررت لذلك".[١٥٢]

وعلى جانب آخر يوضح الكتاب بعض الأمور المتعلقة بالزواج الرسمى كالمهر وتأسيس منزل الزوجية و مراسم العرس و حق الزوجة فى تطليق نفسها بشروط . يتحدث القوجانى مع الشيخ الوسيط فى هذا الزواج : " قلت : وماذا تقرر بخصوص المهر ؟ أجاب خمس وعشرين ليرة نقدًا مقدمًا ، وخمس عشرة ليرة مؤخرًا ، فيكون المجمل أربعين ليرة طبقًا لميقات موسى أربعين ليلة . فأعطيت الشيخ الوسيط عشرين ليرة ليعطيهم إياها ، وحضرت المجلس فى العصر ، وتم عقد الزواج، وكتبوا شرطين ملزمين فى العقد ، ألا نغادر العتبات دون رضى الزوجة ، وأن تكون الزوجة موكلة على طلاق نفسها فى حالة عدم توفر النفقة اللازمة لها لستة شهور". [١٥٣] وأما عن بيت الزوجية والأثاث يخبره الشيخ : " والأثاث سوف يوفره الوالدان من مالهما الخاص ، أما الخمس وعشرون ليرة التى قد دفعتها ، قال الأب

لايجب إنفاقها ، فربما يتم ادخارها أو شراء منزل للزوجة فى النجف، أو رهنها على الأقل كى تستريح من إيجار المنزل ".[١٥٤]

ويصف مراسم هذا الزواج والتى تبدو متواضعة للغاية : " حضر (الشيخان) فى الليل وأخذانى معهما ، واحد يحمل المصباح ، والآخر يسير إلى جوارى ، دخلت الحجرة اتصبب عرقًا من الخجل باكيًا لوحدتى فى ديار الغربة . وقامت زوجة أحد الشيخين بغسل قدميّ ونثر الماء حولى . صليت ركعتين ودعوت: اللهم ألف بينى و بينها كما ألفت بين آدم و حواء . وأعطيت العروس ليرة، ورفعت الدثار عن رأسها"[١٥٥].

المبحث الرابع: موقف العلماء والطلاب الإيرانيين المقيمين بالعراق من الثورة الدستورية فى إيران

إن موقف الطلاب الإيرانيين المقيمين فى المدن الشيعية المقدسة بالأراضى العراقية سواء بالتأييد أو المعارضة لاينفصل مطلقًا عن موقف أساتذتهم ومراجع التقليد المقيمين بنفس الديار .

تعتبر المرجعية الدينية فى إيران والعراق من القضايا التى حظيت باهتمام المفكرين والعلماء المسلمين. ومع بداية العصر الصفوى وهجرة الفقهاء العرب تدريجياً إلى إيران حظيت إيران بالمركزية الشيعية ، لكن الأمر استغرق قرناً من الزمان حتى تحولت إصفهان إلى قاعدة للتشيع والمرجعية، وفى هذا الوقت لم تكن أهمية النجف تقارن بأهمية إصفهان.وقد أدى انتهاء العصر الصفوى واضطراب الأوضاع فى إيران إلى انتقال المرجعية مرة ثانية إلى العراق، وكان السبب الرئيس وراء هذا الانتقال هو وجود العتبات المقدسة، وكان من الطبيعي أن تجتذب العراق الطلاب والعلماء.وخلال العصر القاجارى أصبحت المرجعية متمركزة فى العراق ، ومنذ النصف الأول من العصر القاجارى والحوزات العلمية تدار من خلال ميزانية مستقلة تعتمد على "سهم الإمام" ليس للحكومة أي نوع من السلطة عليها. وفى نهاية العصر القاجارى كان هناك مبدأ هام هو أن المرجعية ترتبط ارتباطاً مباشراً بجماهير الشعب ، بسبب التعارض الذى حدث بين مصالح طبقات الشعب المختلفة وخاصة طبقة دافعى سهم الإمام

والحكومة القاجارية التى تتحرك باتجاه منح الامتيازات للأجانب. و اتسعت الهوة بين رجال الدين والحكومة ، وازدادت اتساعاً مع بدء المطالبة بالحياة النيابية ، لأنه الحكومة فى هذه المرة لم تمنح امتيازات اقتصادية للدول الأجنبية فقط، بل أنها عملت على الترويج للعادات والتقاليد والثقافة الجديدة التى هى من وجهة نظر العلماء غير دينية. ومن هنا اتخذ لجوء رجال الدين إلى الشعب شكلاً أكثر وضوحاً، وفى المقابل لم يجد معارضو الحكومة أيضاً ملجأ إلا رجال الدين، ولم يكن هؤلاء المعارضون من بين المثقفين، بل كانوا من بين عامة طبقات المجتمع والتجار. [١٥٦]

وكان أبرز مراجع التقليد الإيرانيين الموجودين بالأراضى العراقية وخاصة حوزة النجف خلال الثورة الدستورية الشيخ "ميرزا حسين ميرزا خليل الشهير بالطهرانى[١٥٧]" والفقيه محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند و الشيخ سيد محمد كاظم اليزدى والشيخ عبد الله المازندرانى ، وقد تفاوت موقفهم تجاه الثورة الدستورية منذ بدايتها ، فقد وقف اليزدى على الطرف المناهض للثورة والدستوريين ، بينما أيد الطهرانى والآخوند الخراسانى والشيخ المازندرانى الثورة بقوة منذ البداية ، وأخذوا فى حشد الطلاب و دعم الثوار حتى الرمق الأخير ضد قوى الاستبداد المتمثلة فى الشاه وحلفائه وعلى رأسهم روسيا.

ويطالعنا القوجانى بأن الطلاب مع بداية ظهور كلمتى الدستور والبرلمان استفتوا العلماء حولهما ، فأفتوا بالضرورة الحتمية لهما : " شيئًا فشيئًا أخذت كلمة الدستور تتردد على ألسنة البعض ، وتصل إلى مسامعنا . وسئل السادة العلماء : ما هو الحكم الدينى فى تأسيس مجلس من نجباء المملكة وعقلائها لرفع الظلم أو الحد منه ؟ فأجابوا : إنه من الضرورات الدينية ".[١٥٨]

وتتضح أهمية دور المراجع الإيرانيين المقيمين بالعراق ، وانقسامهم لفريق مؤيد وفريق آخر معارض أو على أقل تقدير غير متضامن مع الدستور من خلال بعض الإفادات التى قدمها الكاتب، فقد حملت نسخة من الدستور إلى مراجع التقليد الإيرانيين بالنجف ليوقعوا عليها بالموافقة، وهنا تجلى اختلافهم ، يقول : " وبعد ذلك أُحضر الدستور ، وحُمل أولًا

إلى الحاج "ميرزا حسين ميرزا خليل " وكان من أجلة العلماء وأكبرهم سنًا وله مقلدون فى طهران وغيرها ، فوقع عليه. وقال البعض لنحمله إلى السادة الآخرين مثل الآخوند (محمد كاظم الخراسانى) والسيد محمد كاظم (اليزدى) ، فأجاب الحاج لاضرورة ، طالما وقعتُ عليه بنفسى ، سيُأخذ به ، ولكنهم حملوه إلى الآخوند فوقع عليه ، وحملوه إلى السيد محمد كاظم (اليزدى)، ونظرًا لأنه قد علم بكلام الحاج قال لا ضرورة لتوقيعى ، يكفى توقيع الحاج ، ولم يوقعه . ووقع السيد الشيخ عبد الله المازندرانى ، ثم أخذناه وقرأناه ، فوجدنا بنوده بديعة كبستان الزهور ، حفظه الله." [١٥٩]

يتبن لنا أن غالبية الطلاب اتخذوا موقفًا مؤيدًا للثورة الدستورية داعمين بذلك موقف الحاج الطهرانى والآخوند الخراسانى والشيخ عبد الله المازندرانى ، ويتضح أيضًا من تلميحات القوجانى أن الفريق الآخر وعلى رأسه اليزدى كانوا يقفون خلف مؤسسة الحكم ، ويدافعون عن مواقفها ، بل وصل الأمر بهم إلى حد توجيه التهم المغرضة للآخوند على وجه الخصوص لكونه أبرز المراجع المؤيدين للدستوريين فى النجف ، وقدرته على تحريك الرأى العام بين الإيرانيين .وبات الطلاب يتعرضون لظروف معيشية صعبة ، وأصبحوا مستهدفين بالقتل، فيقول :" وكان الطلاب والفضلاء والزهاد والعقلاء والحكماء دستوريين ويلتفون حول الآخوند ، والذين فى قلوبهم مرض بل أمراض و زادهم الله مرضًا ، كانوا أنانيين ومستبدين ، يحومون حول مركز الاستبداد ، ويسجدون لرب نوعهم وجامع جمعهم يوم التناد ..... بعض المستبدين المعممين الذين كانوا من الحُمُر المطهرين المدلسين أخذوا يحيكون المؤامرات ضد الدستوريين ، فعرضوا أموال هؤلاء المساكين وأرواحهم وأعراضهم وكرامتهم للخطر ، ولم يقصروا فى توجيه التهم والبهتان لهم بإدعاء البابية والردة ، واتهموا الآخوند بأنه فرنجى الأصل ولم يُخَتن ، وأن المحاجر الصحية فى العراق –والتى تسببت فى إلحاق الأذى بالزوار بل هلاكهم –كانت بأمر الآخوند ، ومن الاتهامات التى وجهت للمراجع أمثاله أنهم قد اعتنقوا البابية . ولم تنتشر تلك الأخبار فى النجف فقط بل فى جميع أرجاء العراق وبين العشائر، لدرجة أن عرب البادية أخذوا فى إيذاء الطلاب، كما أنهم لم يكونوا بمأمن فى

النجف نفسها. وتدهورت الأوضاع لدرجة أن الطلاب لم يذهبوا لزيارة كربلاء لعام كامل ، ولم يستطيعوا الذهاب للكوفة للتنزه أو الإقامة فى الكوفة وسهلة خوفًا على أرواحهم ، وكانوا محبوسين داخل أسوار النجف ، بل كانت النجف أيضًا مثل الأماكن الأخرى ..... وكان الحُمُر المطهرون مشغولين بإثارة أهل البادية ، فأصبحوا يترصدون الطلاب الإيرانيين لقتلهم ، فكلما وجدوا طالبًا إيرانيًا بمفرده، قتلوه . وبناء على هذا أصبح السفر إلى كربلاء والكوفة للعبادة المكلف بها الطلاب ممنوعًا ..... ، ولكننى وجميع السادة كنا فى مأمن من تلك المأساة " [١٦٠]

كان الصراع بين الدستوريين ومحمد على شاه القاجارى فى تلك الفترة على قدم وساق ، وأخذ الشاه فى تحين الفرص للعصف بالدستور ، فذهب وزراؤه إلى المجلس النيابى ، وقدموا عددًا من مطالب الشاه لتوسيع صلاحياته فى مقابل تقليص صلاحيات المجلس ، وكانت تلك الطلبات تخالف الدستور. وصبيحة اليوم التالى لرفض المجلس النيابى مطالب الشاه تطور النزاع السلمى بين الدستوريين والشاه وحليفته روسيا إلى قتال مسلح فى ٢٣ جمادى الأول ١٣٢٦– ٢٢ يونيه ١٩٠٨ م ، حيث قصفت قوات القوزاق الإيرانية بقيادة القائد الروسى لياكوف مبنى البرلمان بالمدفعية بإشراف من محمد على شاه نفسه وسقط عدد من القتلى[١٦١]. وأُعدم بأمر من الشاه عدد من الدستوريين من رجال الدين وغيرهم ، وأُلقى القبض على البعض الآخر ، وبدأ عصر الاستبداد الصغير ، ونتيجة لتضييق الخناق على الساحة الداخلية الإيرانية تقلص دور علماء الدين المؤيدين للثورة الدستورية فى الداخل، وأخذ دور مراجع التقليد الإيرانيين المقيمين بالنجف فى التزايد فى سبيل حماية الثورة الدستورية والتصدى للحكومة القاجارية المستبدة . [١٦٢]

اتسم موقف المراجع الدينية فى النجف بالحماس والحمية فى مواجهة تجاوزات الشاه وتطاول روسيا ، وأيدهم طلاب العلوم الدينية والمقلدون بل حتى سيد كاظم اليزدى الذى اشتهر بمعارضته للدستور.[١٦٣] ويوضح لنا القوجانى اصطفاف الطلاب حول الآخوند لمواجهة محمد على شاه والروس وكذلك المعارضون للدستور وعلى رأسهم اليزدى ،

وتأهبهم جميعًا للخروج صوب إيران لمواجهة القوات الروسية بقوله :" ولما كان الروس قد أرسلوا جنودهم إلى إيران ، وأخذوا فى الاعتداء بشكل متجبر ، تحرك السيد الآخوند بنية الجهاد والدفاع و إخراج الروس ودحر محمد على ميرزا ، وتحركتُ مع الآخوند وكذلك جميع الطلاب والمجتهدين الآخرين حتى السيد محمد كاظم (اليزدى) ، ولما كنتُ أكثر حماسة ، ذهبتُ مع عدد من الأشخاص إلى الكاظمية قبل تحرك الآخوند إليها بيوم ، فوجدنا أهالى بغداد من كافة المذاهب قد خرجوا لمسافة فرسخ لاستقبالنا والتعبير عن مؤازرتهم."[١٦٤] ويؤكد عبد الهادى الحائرى فى كتابه "التشيع والدستور فى إيران ودور الإيرانيين المقيمين بالعراق" أن السيد محمد كاظم اليزدى كان دائم الابتعاد عن السياسة ، ويدعم جناح الاستبداد إلا أنه نهض للتصدى لوجود القوات الأجنبية العسكرية فى إيران.[١٦٥]

واجتمع رأى حلفاء الآخوند على اقناعه بعدم التوجه لإيران بعد وصول برقية تلغرافية تفيد خلع محمد شاه وسيطرة الثوار على طهران ، وطلبوا من الشيخ عبد الله المازندرانى إقناع الآخوند حتى لايتعرض المسلمون والعلماء للخطر [١٦٦]

ويشير الحائرى إلى أهمية دور الآخوند الخراسانى فى مقاومة قوى الاستبداد المتمثلة فى الشاه وحلفائه ، وتوجس روسيا وبريطانيا من التحركات التى يخطط لها الآخوند فى النجف بقوله إن تلك المقاومة الشرسة والمتواصلة من طرف علماء النجف ضد التدخل الأجنبى وحكومة محمد على شاه الاستبدادية كانت تهدد موقف روسيا وبريطانيا ، وتنذر بنتائج وخيمة بالنسبة لهما . وربما تزايد قلق هاتين الدولتين عندما علما بحشد الخراسانى (الآخوند) جميع علماء النجف ومن بينهم العرب للخروج إلى الكاظمية ومنها إلى كربلاء ثم إيران ، ولم يرجعوا إلا بعد سماع خبر فتح طهران وفرار محمد على شاه ولجوئه للسفارة الروسية. [١٦٧]

بعد تعيين أحمد ميرزا بن محمد على شاه خلفًا لوالده تحت وصاية عضد الدولة رئيس القبيلة القاجارية المعمر لصغر سن أحمد شاه ، تم افتتاح الدورة الثانية للمجلس النيابى فى الفاتح من ذى القعدة عام ١٣٢٧ هـ.ق/١٣ نوفمبر ١٩٠٩م [١٦٨]، واستقدمت الحكومة

الجديدة عددًا من المستشارين الأجانب لإصلاح الشئون السياسية والاقتصادية المتدهورة ، وكانوا من دول محايدة ؛ مورجان شوستر للخزانة والمالية من أمريكا ومعه أربعة آخرين ، أدولف برنى للعدل من فرنسا ، الكولونيل بالمارسون وعدد من الضباط للدرك من السويد. وكان أهم هؤلاء المستشارين مورجان شوستر الذى اتخذ خطوات مهمة لتنظيم الميزانية . وأثارت تصرفات شوستر الحكومة الروسية ، فسيرت جنودها صوب إيران ، ووجهت فى ٢٠ ذى القعدة ١٣٢٩ / ١١ نوفمبر ١٩١١ م إنذارًا رسميًا لإيران ، وطالبت بإعتذار الحكومة الإيرانية . وفى التاسع والعشرين من ذى القعدة وجهت إنذارًا آخر طالبت فيه طرد مورجان شوستر ، فثار الرأى العام وفاضت المشاعر الوطنية فى جميع الأرجاء.[١٦٩] رفض المجلس النيابى الإنذار الروسى ، ولكن ما أن بدأ الجنود الروس فى التحرك صوب طهران قام مجلس الوزراء وناصر الملك بحل المجلس النيابى وقبول الإنذار ، وعزل شوستر، وكان ناصر الملك قد تولى آنذاك الوصاية على أحمد ميرزا بعد عضد الدولة .[١٧٠]

تحول الأمر فى العتبات من قضية سياسية إلى قضية الدفاع عن الإسلام ضد الروس، وتزعم الآخوند جموع المسلمين فى النجف ، وهب للتوجه إلى إيران لمقاومة الروس ، واعتلى الطلاب المنابر داعين الناس للدفاع عن الإسلام ، واحتشدت الجموع حتى زعماء القبائل العربية خلف الآخوند ، فيطالعنا الكاتب : " لما فاق ظلم الروس وتطاولهم السافر الحدود بتوجيه من إيرانيين منافقين ، قرر الآخوند فى النصف الأخير من ذى الحجة عام ١٣٢٩ / نوفمبر ١٩١١م التوجه إلى إيران ، ومقاومة الروس. وأخذ الطلاب يعتلون المنبر فى مسجد عمران يحثون الناس على الجهاد ضد الروس وحماية بيضة الإسلام . وكان العرب وزعماء القبائل مجتمعين فى النجف لزيارة الغدير ، ووحد الآخوند بين جميع العلماء ، وأخذ زعماء القبائل يبايعون الآخوند ، ووعدوه بأن يخرج كل منهم على رأس عدة آلاف من المسلحين بالبنادق ، وخلال يومين وصل تعدادهم إلى مائتين ألف مسلح. ووصلت البرقيات التلغرافية من حدود كرمنشاه من لدى داوود خان وشير خان وسائر الخانات تعبر عن تأهبهم

للانضمام إلى الركاب المظفر ، واستعد جميع علماء النجف وطلابها للخروج أيضًا . وقرر الآخوند الذهاب فى اليوم التالى إلى مسجد السهلة للتوسل ، ثم التحرك من هناك." [١٧١]

ولم يكتب لهذا الجمع التوجه إلى إيران ، ففى صبيحة اليوم التالى ينتشر خبر موت الآخوند ، ويعم الحزن النجف ، وباتت مجالس العزاء فى كل مكان[١٧٢] . وبهذا فقدت تلك الجموع قيادتها التى استطاعت التأليف بينها ضد الروس ، فتفرقت.

وتطورت الأحداث فى إيران ، فبعد خروج شوستر أخذت روسيا فى العصف بالثوار، وأعدمت عددًا منهم فى تبريز ، وفى ١١ ربيع الآخر ١٣٣٠ هـ .ق /٢٩ مارس عام ١٩١٢م قصفت ضريح الإمام الرضا فى مشهد بالقنابل لاستعراض قوتها.[١٧٣] وفى النجف فترت الهمم بغياب الآخوند ، وتسرب الشعور بالعجز إلى النفوس مع قصف الضريح ،يقول القوجانى:"فى ربيع الآخر ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م أتى خبر قصف الروس البقعة المطهرة لحضرة الرضا عليه السلام بالقنابل بسبب الوعود الكاذبة التى منحهم إياها غير المسلمين، ودنسوا الصحن والرواق بخيولهم وكلابهم ، فعلوا ما فعلوا ، وكان ماكان. تجمع المؤمنون الغيورين بالنجف فوجدوا لاحيلة إلا الانتحاب كالنساء وضرب الصدور. وأقيمت مجالس التعزية وانطلق خلالها الدعاء بالفرج". [١٧٤]

ويوضح مدى اليأس والشعور بالضعف والاستسلام الذى أصاب الجميع لعدم وجود زعامة دينية قادرة على جمع الكلمة وشحذ الهمم ، فحين لجأ إلى أحد المجتهدين للأخذ برأيه كانت الإجابة:"لا توجد أى دولة اليوم على وجه الكرة الأرضية قادرة على مقاومة الروس ، حتى لو أتحدت جميع الدول سيكون الأمر صعبًا ".[١٧٥] وعلى هذا لم يعد للطلاب الإيرانيين زعامة دينية قادرة على إدارة الأمور بعد موت الآخوند، كما ذهب الأمل الأخير لديهم بوفاة الشيخ عبد الله المازندرانى فيقول : "ركبنا الزورق فى الصباح ، ووصلنا الكوفة ، وبعد الزيارة ذهبنا إلى النجف ، وبعد فترة وجيزة توفى أيضًا الحاج الشيخ عبد الله المازندرانى الذى كان من زعماء الدستوريين، وأصبح غالبية الطلاب بل جميع الدستوريين منهم بلا ملجأ أو ملاذ كلية ، وحط على وجوههم غبار اليتم ".[١٧٦]

الخاتمة

١. يعد "سيد محمد حسن" الشهير بالنجفى القوجانى من رجال الدين البارزين فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى ، والذى ذاع صيته بين الإيرانيين بسبب كتابه الشهير "سياحة الشرق" ، ويصنف هذا الكتاب ضمن المصادر الفارسية الرئيسة التى تناولت أوضاع طلاب العلوم الدينية الإيرانيين خلال العصر القاجارى .

٢. ترجع أهمية كتاب سياحة الشرق إلى كونه سيرة ذاتية وثائقية لأحد علماء الشيعة ، وصف خلاله رحلته الدراسية منذ الصبى وتنقله عبر المدن الإيرانية والعراقية فى سبيل تحصيل العلم والحصول على درجة الاجتهاد . كما أنه يعد بمثابة تقرير عن الأوضاع التعليمية والاجتماعية فى الحوزات الشيعية فى إيران والعراق خلال العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجرى ، ويروى كذلك بعض الأحداث المتعلقة بفترة مهمة من تاريخ إيران أى مرحلة الثورة الدستورية ، ويبرز موقف المراجع والطلاب الإيرانيين المقيمين بالحوزات الدينية العراقية منها. ويتميز أسلوب المؤلف بالنقد اللاذع لأوضاع المجتمع الذى عاش فيه ، والجرأة الشديدة فى كشف الكثير من الأمور المسكوت عنها.

٣. ازدهرت الحوزات العلمية بالعراق فى القرن الرابع عشر الهجرى بالعلماء والفقهاء والطلبة من كل مكان ، قادمين من أقطار مختلفة ومن جنسيات شتى، وشيدت الكثير من المدارس الدينية لاستقبال الطلاب ، واحتلت حوزتا النجف و كربلاء الصدارة باعتبارهما المركز الأصلى للدراسات الشيعية .

٤. لم تكن الحوزات الدينية الشيعية مرتبطة بحكومة أو دولة ، ولم تتبع أفكار الحكام وتوجهاتهم ، واحتفظت الحوزة منذ تأسيسها باستقلالها المادى والمعنوى . واعتمدت الحوزات فى مخارجها على سهم الإمام من الخمس الذى يدفعه الشيعة إلى المراجع والمجتهدين ، والنذور والموقوفات و أموال الزكاة.

٥. سجل القوجانى معلومات عن مدراس الحوزات الشيعية والتى أقام فى الغالب بها أو قام بزيارتها مثل المدرسة ذات البابين ، المدرسة الجديدة ومدرسة پريزاد فى مشهد ،

مدرسة حسن خان ومدرسة الصدر فى كربلاء ، مدرسة الهندى ، مدرسة الأتراك ، مدرسة صحن المرقد العلوى ، ومدرسة الآخوند الكبرى فى النجف.

٦. تنقسم المراحل الدراسية بالحوزات إلى ثلاث مراحل : المقدمات ، السطوح ، والخارج. ولا توجد فى الحوزات صفوف أو حلقات يجبر الطالب على الحضور فيها، وإنّما يترك الأمر إلى الطالب بنفسه ، كى يختار أستاذه حسب ذوقه ووقته ومقدرته العلمية.

٧. عبر القوجانى عن ذكرياته الأليمة أثناء تلقيه العلم فى مرحلة المقدمات على يد أستاذه فى مدينة قوجان ، وبين أن الأستاذ كان يستغل تلامذته ويعاملهم كالخدم ، وهو ما دفعه للترحال من أجل تحصيل العلم فى مدن أخرى مثل ومشهد وإصفهان.

٨. درس القوجانى مرحلة السطوح فى مشهد ، ونعت علماءها وطلابها بالجمود الفكرى لتحريمهم دراسة العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق وكذلك التصوف وتمسكهم بالعلوم النقلية فقط دون غيرها ، بل يتجاوز الأمر حد التحريم إلى تكفير دارسيها.

٩. استكمل الكاتب دراسة مرحلة السطوح فى إصفهان ، وعقد مقارنة بين أساتذتها ومناهجهم فى التدريس، فريق منهم نال قسطًا كبيرًا من نقده لسطحية دروسه والصخب الذى يعم الحلقات الدراسية ، والفريق الآخر حاز قسطًا كبيرًا من إطرائه ويمثله السيد محمد باقر درچه الذى بدأ عنده مرحلة بحث الخارج ،وأشار أيضًا إلى تدنى المستوى العلمى لطلاب إصفهان مقارنة بغيرهم.

١٠. غادر القوجانى إصفهان بعد أن قضى بها أربع سنوات ، وتوجه إلى مدينة النجف فى الثالثة والعشرين من العمر ، وأنهى مرحلة بحث الخارج بتلك المدينة وحصل على إجازة الاجتهاد ، ولم يغادرها إلا بعد عشرين عامًا من قدومه إليها، تتلمذ خلال تلك الفترة على يد علماء النجف وخاصة الإيرانيين الذين كانت لهم مكانة مرموقة بالحوزات العراقية ، وقدم إفادات مهمة حول هولاء العلماء ودورهم على الساحة الدينية والسياسية.

١١. عبر الكاتب فى مواضع كثيرة عن مكانة الفقيه محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند الرفيعة بين طلاب النجف ، وأشاد بنزاهته ومنهجه فى التدريس ، لذا أنهى على يديه مرحلة بحث الخارج بقسميها.

١٢. حضر القوجانى حلقات دراسية فى النجف لعلماء آخرين مثل المرجع محمد كاظم اليزدى الذى نال القسط الأكبر من نقده بالرغم من مكانته الرفيعة فى النجف آنذاك ، ولم يكتف القوجانى بذمه تارة بالتلميح وأخرى بالتصريح بل أنه كتب تعليقات لنقد بعض أعماله.

١٣. أقبل القوجانى على دراسة الفلسفة وعلم الكلام والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم العقلية ، وهو الأمر الذى دفعه للالتحاق فى فترة الوقت خلال إقامته بالنجف بحلقات الشيخ محمد باقر الاصطهباناتى ، فقد كان هذا الشيخ يطرح قضايا فلسفية لم يكن أحد غيره من العلماء يتناولها ، ثم انقلب القوجانى على شيخه وأصبح ينفر من حضور دروسه بعد أن تأكد أن الشيخ اتخذ منه أداة إعلامية له ، وصار يحثه على جمع الطلاب لدروسه .

١٤. كان العمل بالنسبة لطلاب العلوم الدينية من الأمور التى لايقبلها المجتمع الحوزوى فى تلك الفترة ، فعمل طالب العلم يجلب العار له ويجعله عرضة لحملة من الانتقادات من قبل رجال الدين وأقرانه الدارسين، وكان الشائع تفرغ طالب العلوم الدينية للدراسة.

١٥. اعتمد الطلاب فى معيشتهم بالأساس على ما يأتيهم من معونات من طرف مراجع التقليد والفقهاء من سهم الإمام و رواتب الموقوفات المخصصة للمدارس والأموال المرسلة من أسرهم من حين لآخر. وفى الغالب لم تكن هذه الأموال تكفى لسد متطلباتهم المعيشية ، فكانوا يلجأون لأمور أخرى لسد هذه الفجوة مثل صلاة الاستئجار ، الشهادة على زواج المتعة بمقابل مادى ، بيع المقنيات من الكتب والتكسب من الزوار.

١٦. انتقد القوجانى أسلوب المرجع محمد كاظم اليزدى فى توزيع سهم الإمام وصلاة الاستئجار على الطلاب وعلى النقيض امتدح المرجع محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند ونزاهته فى توزيع الأموال ، فلم يكن يوزعها على الطلاب الذين يحضرون دروسه بل على الفقراء من الطلاب على العموم حتى لا يكون تقسيم الأموال على الطلاب مرهونًا بحضورهم دروسه.

١٧. كان طلاب العلوم الدينية العزب يقيمون فى غرف ملحقة بالمساجد أو بالمدارس خصصت لهذا الغرض أو ببعض منازل الأوقاف . وشكل السكن أزمة بالنسبة للطلاب لكثرة عددهم مما كان يدفعهم أحيانًا للدخول فى صراعات مع أقرانهم ، كما أن بعض هذه الغرف لم تكن مناسبة لإقامة الطلاب إما لضيقها أو للقذارتها. ولم يكن يسمح للطلاب المتزوجين الإقامة فى هذه الغرف بل كان عليهم استئجار منازل خاصة بهم وأسرهم.

١٨. وصف الكاتب العديد من العادات والتقاليد الخاصة بالزواج بين طلاب النجف من الإيرانيين ، كما تحدث صراحة عن شيوع زواج المتعة بين طلاب العلوم الدينية وبعض النسوة اليائسات من المحيض بمقابل مادى يدفع فى حينها أو حتى بالأجل.

١٩. كان أبرز مراجع التقليد الإيرانيين الموجودين بالأراضى العراقية وخاصة حوزة النجف خلال الثورة الدستورية ميرزا حسين الطهرانى و محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند وسيد محمد كاظم اليزدى والشيخ عبد الله المازندرانى ، وقد تفاوت موقفهم تجاه الثورة الدستورية منذ بدايتها ، فقد وقف اليزدى على الطرف المناهض للثورة والدستوريين ، بينما أيد ميرزا حسين الطهرانى والآخوند الخراسانى والشيخ المازندرانى الثورة بقوة منذ البداية، وأخذوا فى حشد الطلاب ودعم الثوار حتى الرمق الأخير ضد قوى الاستبداد المتمثلة فى الشاه وحلفائه وعلى رأسهم روسيا.

٢٠. إن موقف الطلاب الإيرانيين المقيمين فى المدن الشيعية المقدسة بالأراضى العراقية سواء بالتأييد أو المعارضة لاينفصل مطلقًا عن موقف أساتذتهم ومراجع التقليد

المقيمين بنفس الديار، ولكن الغالبية منهم انضمت إلى صف الطهرانى والآخوند الخراسانى والشيخ عبد المازندرانى فى تأييد الثورة الدستورية. وبموت الآخوند ومن بعده المازندرانى أصيب الطلاب بحالة من اليأس والشعور بالعجز ، ولم يعد لهم زعامة دينية قادرة على جمع صفوفهم وخاصة مع ازدياد تغلغل النفوذ الروسى .

الحواشي :

١ يعقوب توكلى : آقا نجفى قوچانى و گزارشى از نخستين اشغال عراق ، ماهنامهٔ زمانه ، تهران، سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى ، خرداد ١٣٨٢، ص ٧٨

٢ آقاى نجفى قوچانى (محمد حسن): سياحت غرب يا سرنوشت ارواح پس از مرگ ، با پيشگفتار سيد محمد موسوى ، چاپ چهارم ، تهران ، نشر جهان آرا، ١٣٨٠ ، ص ٨

٣ تقع المنطقة الحدودية بين إيران ودولة تركمنستان إلى الشمال من مقاطعة قوجان ، وإلى الشرق منها مقاطعتا "درگز" و" چناران" ، وإلى الجنوب ولايتا نيسابور وسبزوار ، ويحدها من الجنوب الغربى اسفراين ومن الغرب ولاية شيروان.

- ايرج امانپور قرائى : نگاهى به زندگى آقا نجفى قوچانى و مزارش ، فصلنامهٔ مشكوة ، مشهد، موسسهٔ چاپ و انتشارات آستان قدس رضوى ، شماره ٤٩ ، زمستان ١٣٧٤، ص ١٧١

٤ محمود فرجامى : سياحت مليح شرق (نگاهى به طنز انسانى آقا نجفى قوچانى) ، ماهنامهٔ خردنامه همشهرى ، موسسهٔ همشهرى، تهران ، شماره ٢٤ ، ايرانچاپ ، اسفند ١٣٨٦ ، ص ٥٤

٥ آقاى نجفى قوچانى (محمد حسن): سياحت غرب يا سرنوشت ارواح پس از مرگ ، پيشگفتار سيد محمد موسوى ، ص ٨

٦ أقا نجفى قوچانى : سياحت شرق يا زندگى نامه آقا نجفى قوچانى بقلم خودش ، تصحيح رمضان على شاكرى ، چاپ سوم، تهران ، مؤسسه ٔ انتشارات امير كبير، ١٣٦٧ ، ص ٣٠١

٧ يعد ملا محمد كاظم الخراسانى الشهير بالآخوند (١٢٥٥- ١٣٢٩هـ.ق/ ١٨٣٩ – ١٩١١م) واحدًا من أشهر زعامات المؤسسة الدينية المقيمين فى النجف ، لعب دورًا بارزًا فى تأييد الثورة الدستورية بمراحلها المختلفة ودعمها . تولى المرجعية العظمى لكافة الشيعة على مستوى العالم بعد الميرزا حسن الشيرازى ، وهو صاحب "نظرية استلهام الدستور من الشريعة"، اختلف مع الشيخ فضل الله نورى بسبب معاداته للدستوريين وإصراره على التمسك بالشريعة ومناهضته للدستور ، واتخذ منه موقفًا صريحًا ، ورد على آرائه ومواقفه.

- حسين حاتمى : مرجعيت ومشروطه ، ماهنامهٔ كتاب ماه ، تهران ، شماره ١٣٦، شهريور ١٣٨٨ ، ص ٣٦

- غلامرضا جلالى : مشروعه در بوته ـ نقد علماى مشروطه خواه ،فصلنامهٔ مطالعات تاريخى ، تهران موسسهٔ مطالعات و پژوهشهاى سياسي ، شماره ١٥ ، زمستان ١٣٨٥ ، ص٢٧، ٣٧ ، ٣٨

٨ ايرج امانپور قرائى : نگاهى به زندگى آقا نجفى قوچانى و مزارش ، ص ١٧٧، ١٧٨

٩ آقاى نجفى قوچانى (محمد حسن): سياحت غرب يا سرنوشت ارواح پس از مرگ ، با پيشگفتار سيد محمد موسوى ، ص ٩ ، ١٠

١٠ أنظر :

- ايرج امانپور قرائى : نگاهى به زندگى آقا نجفى قوچانى و مزارش ، ص ١٧٣

- آقا نجفى قوچانى : سياحت شرق ، باز نويسى ومقدمهٔ مژگان شيخى ، چاپ دوم ، تهران ، موسسهٔ انتشارات قديانى ، ١٣٨٠ ، مقدمه ص ٥

١١ على رضا جواد زاده (جهانشاه لو) : تأمّلاتى درباره دو كتاب تاريخى از آقا نجفى قوچانى: (بررسى خاطرات و تاريخ نگارى) شخصيت و ديدگاه‌هاى ،فصلنامهٔ آموزه ، موسسهٔ آموزشي و پژوهشى امام خمينى ، قم ، شماره ٤ ، تابستان ١٣٨٣ . ص ٣٥٤ ، ٣٥٥

١٢ بول دومير فرنسى الجنسية وليس أمريكيًا ، وهو الرئيس الثالث عشر للجمهورية الفرنسية الثالثة ، ولد فى ٢٢ مارس ١٨٥٧م ، واغتيل فى السادس من مايو ١٩٣٢ م، انتخب للرئاسة فى مايو عام

١٩٣١م ، وظل بمنصبه حتى اغتياله على يد أحد المهاجرين الروس . له عدة مؤلفات، نذكر من بينها " Le Livre de mes fils :كتاب أبنائى " الذى ألفه عام ١٩٠٦م.
Encyclopaedia Britannica, Paul Doumer President of France, 5-10-2016, https://www.britannica.com/biography/Paul-Doumer

١٣ يسمى هذا الكتاب فى الفارسية " وصايای ارسطو به شيماس ، شرح رسالهٔ تفاحيه " وهو شرح لرسالة يقال أن أرسطو أوصى بها طلابه قبل وفاته ، وقام بترجمتها للفارسية بابا أفضل الكاشانى . أنظر:

- آقا نجفى قوچانى : وصايای ارسطو به شيماس ، شرح رسالهٔ تفاحيه ، مقدمه وتصحيح محمد رضا عطائى ، چاپ اول ، تهران ، نشر هفت ، ١٣٧٨ ، ص ٨ ، ١١

١٤ حميد رضا شاه آبادى : من و مُردم (نگاهى به رسالهٔ «سياحت غرب» اثر آقا نجفى قوچانى) ماهنامه ادبيات داستانى، حوزهٔ هنرى ، تهران ، شماره ٣٧ ، مهر ١٣٧٤ ، ص ٣١

١٥ عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ضبط المتن ووضع الحواشى والفهارس خليل شحادة ، راجعه سهيل زكار، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠١ ، ص ٧٤٤ ، ص ٧٤٥

١٦ غلامحسين يوسفى وديگران : زبان وادبيات فارسى (عمومى) برگزيده ى متون فارسى – مباحث دستور وزبان شناسى، مقالهٔ در آمدى بر حسب حال نويسى ، چ ١، تهران ، نشر چشمه ، ١٣٧٨ ، ٣٥٩-٣٦٠

١٧ على رضا ذكاوتى قراگزلو : سفرنامه گوهر مقصود ، فصلنامه آيينه ميراث ، دورهٔ جديد ، شماره ٢١ ، تهران تابستان ١٣٨٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٥

١٨ على رضا جواد زاده (جهانشاه لو) : تأمّلاتى درباره دو كتاب تاريخى از آقا نجفى قوچانى ، ص ٣٥١

١٩ آقا نجفى قوچانى : باز نوشتهٔ سياحت شرق ، مقدمه ص ٣

٢٠ نور الله كسايى : مدارس قديم تهران در عصر قاجار ، فصلنامهٔ نامهٔ فرهنگ ، معاونت فرهنگى وزارت ارشاد اسلامى، تهران ، شماره ٣٠ ، تابستان ١٣٧٧ ، ص ١٣٨

٢١ على رضا جواد زاده (جهانشاه لو) : تأمّلاتى درباره دو كتاب تاريخى از آقا نجفى قوچانى ، ص ٤٠٥

٢٢ سياحت شرق : ص ٥٢٧

٢٣ السيد النجفى القوجانى : سياحة فى الشرق ، ترجمة لجنة الهدى ، ط ١ ، بيروت ، دار البلاغة ، ١٩٩٢ ، ص ٣٤٢

٢٤ سياحت شرق : ص ٧١

٢٥ سياحة فى الشرق : ص ٦٤

٢٦ سياحت شرق : ص ٥٦٩

٢٧ سياحة فى الشرق :ص ٣٦٨، ٣٦٩

٢٨ سياحت شرق : ص ٣٦٧ ، ٣٦٨

٢٩ سياحة فى الشرق : ص ٣٠٧ ، ٣٠٨

٣٠ سياحت شرق : ص ٥٣١

٣١ سياحة فى الشرق : ص ٣٤٤ ، ٣٤٥

٣٢ أنظر : -

- جعفر الخليلى : موسوعة العتبات المقدسة ، المجلد الأول ، ط ٢ ، بيروت ، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٨٧ ، ص ٩٣-٩٤، ١١١، ١١٦ -١١٧ ، ١٢١-١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٣١-١٣٢
- ثامر عبد الحسن العامرى : المراقد والمزارات فى العراق ، بغداد ، أسفار للطباعة ، ب. ت ، ص ٢٣٧-٢٣٩ ، ١٢٦-١٢٩

- مختار اصلانی : شهرهای مقدس شیعه ، پایگاه اندیشه قم ، مرکز مطالعات و پژوهش های فرهنگی حوزهٔ علمیه ، تاریخ ورود ٢٠١٦/٩/٢٧ ، روی این لینك :
http://www.andisheqom.com/public/application/index/viewData?c=4435&t=article#_ftnref2

[٣٣] علی جواد : الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة تاريخ زاخر بالعلم والعطاء ، مجلة الهدى ، مجلة الهدى تصدر عن دار الهدى للثقافة والعلوم ، 2012/05/04 ، الصفحة الأولى ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى :
http://www.alhodamag.com/index.php/post/30

[٣٤] عبد الحسين الصالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ط ١، بيروت ، بيت العلم للنابهين ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٠ ، ١٨١

[٣٥] جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧

[٣٦] علی جواد : الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة تاريخ زاخر بالعلم والعطاء :
http://www.alhodamag.com/index.php/post/30

[٣٧] میر لیتواك : بررسی جمعیت شناختی علمای نجف وکربلا در خلال سالهای ١٢٠٥-١٣٢٢ ق ، ترجمهٔ نصر الله صالحی، قم ، فصلنامهٔ شیعه شناسی ، مؤسسهٔ شیعه شناسی ، شماره ١٠ ، ١٣٨٤ ، ص ١٧٥

[٣٨] السيد محمّد الغروى : الحوزة العلمية في النجف الأشرف- دراسة تاريخية، نسخة إلكترونية ، موقع حيدرية ، تاريخ الدخول ، ٢٠١٦/١٠/٢١ ، على الرابط التالى:
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/21/book_29/main.htm

[٣٩] میر لیتواك : بررسی جمعیت شناختی علمای نجف وکربلا در خلال سالهای ١٢٠٥-١٣٢٢ ق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦

[٤٠] فى عام ١٣٠٨هـ.ق / ١٨٩٠م منحت الحكومة الإيرانية امتياز احتكار الدخان لشركة إنجليزية لمدة خمسين عامًا بشروط مجحفة للإيرانيين . اعترض الإيرانيون بشدة على منح هذا الامتياز ، وأصدر ميرزا حسن الشيرازى مرجع التقليد المقيم فى سامراء فتوى بتحريم استخدام الدخان على عموم الإيرانيين ، واستجاب له الشعب بشكل مذهل ، وامتنعوا عن تدخين النرجيلة والسجائر ، و أجبر ناصر الدين شاه على إلغاء الامتياز . أنظر :

- پیتر آوری : تاریخ معاصر ایران از تأسیس تا انقراض قاجاریه ، ترجمه محمد رفیعی مهر آبادی ، چاپ سوم ، تهران ، مؤسسه انتشارات عطایی ، ١٣٧٣، ص ١٩٥- ٢٠٠

[٤١] القران عملة قاجارية تساوى ألف ريال.

[٤٢] سیاحت شرق : ص ٤٢ ، ٤٥

[٤٣] المصدر السابق : ص ٨٢

[٤٤] پیتر آوری : تاریخ معاصر ایران از تأسیس تا انقراض قاجاریه ، ص ٢٢٨

[٤٥] سیاحت شرق : ص ٣٠١

[٤٦] علی رضا جواد زاده (جهانشاه لو) : تأمّلاتی درباره دو کتاب تاریخی از آقا نجفی قوچانی ، ص ٣٩٠

[٤٧] السيد محمّد الغروى : الحوزة العلمية في النجف الأشرف- دراسة تاريخية:
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/21/book_29/main.htm

[٤٨] مدرسهٔ دودر مشهد : سایت گردشگری ایران "نشاط آوران" ، تاریخ ورود ٢٠١٦/١٠/٢٥ ، روی این لینك :
http://www.eneshat.com/attractions-city/mashhad/twodoor-school

[٤٩] سیاحت شرق : ص ٧١ ، ٧٢

[٥٠] المصدر السابق : ص ٧٢

[٥١] مدرسهٔ پریزاد مشهد : سایت نشاط آوران ، سایت گردشگری ایران "نشاط آوران" ، تاریخ ورود ٢٠١٦/١٠/٢٥ ، روی این لینك :
http://www.eneshat.com/attractions-city/mashhad/parizad-mashhad
[٥٢] سياحت شرق : ص ٧٩
[٥٣] السيد صادق الحسينى الشيرازى المدارس القديمة : حوزة كربلاء المقدسة ، الموقع الرسمى للمرجع صادق الحسينى الشيرازى ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٦ ، على الرابط التالى :
http://www.alshirazi.net/hawza/1/2.htm
[٥٤] سياحت شرق : ص ٢٨٣ ، ٢٨٤
[٥٥] تاريخ الحركة العلمية في كربلاء : شبكة كربلاء المقدسة ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٤ ، على الرابط التالى :
http://www.holykarbala.net/books/tarikh/haraka-ealmiya/18.html
[٥٦] سياحت شرق : ٤٣٦
[٥٧] المصدر السابق : ص ٣٣٠
[٥٨] جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ص ١٣٣
[٥٩] سياحت شرق : ص ٣٣٠
[٦٠] جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ص ١٣٢
[٦١] سياحت شرق : ص ٣٣٠ ، ٣٣١
[٦٢] جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ص ١٢٧
[٦٣] سياحت شرق : ص ٢٩٢
[٦٤] جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ص ١٣٦ ، ١٣٧
[٦٥] السيد محمّد الغروى : الحوزة العلمية في النجف الأشرف- دراسة تاريخية:
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/21/book_29/main.htm
[٦٦] سياحت شرق : ص ٣٤١
[٦٧] السيد محمّد الغروى : الحوزة العلمية في النجف الأشرف- دراسة تاريخية:
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/21/book_29/main.htm
[٦٨] عبد الحسين صالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ط ١، بيروت ، بيت العلم للنابهين ، ٢٠٠٤ ، ص٤٧ -٤٩
[٦٩] فهمى هويدى : إيران من الداخل ، ط ٤ ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ،١٤١٢هـ ١٩٩١ م ، ص ١٢٤ ، ١٢٥، ١٢٦
[٧٠] المرجع السابق : ص ١٢٥
[٧١] سياحت شرق : ص ٣
[٧٢] سياحت شرق : ص ٤٥
[٧٣] المصدر السابق: ص ٤٨
[٧٤] المقصود بالمطول كتاب الشرح المطول على تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازانى المتوفى (٧٩١هـ.ق) فى البلاغة و المعانى والبيان. أنظر :
- نبذة مختصرة عن تاريخ الحوزة العلمية – عصر النشوء ، موقع الحوزة الزينبية ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى :
https://islamicbooksinfo.fatcow.com/H-26-V-Arabic/V-Al-Howza%20General.htm
[٧٥] المراد تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية لقطب الدين الرازى المتوفى عام ٧٦٦هـ/١٣٦٥م ، فى المنطق.
- المرجع السابق ، نفس الصفحة الإلكترونية.
[٧٦] سياحت شرق : ص ٦٢

[٧٧] الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية الأصل للشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي فى الفقه. المشهور بالشهيد الأول، استشهد عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م. والشرح للشهيد الثانى زين الدين الجبعي العاملي المشهور بالشهيد الثاني المستشهد عام ٩٦٥هـ.أنظر :

- نبذة مختصرة عن تاريخ الحوزة العلمية – عصر النشوء:
https://islamicbooksinfo.fatcow.com/H-26-V-Arabic/V-Al-Howza%20General.htm

[٧٨] قوانين الأصول لميرزا أبى القاسم القمى الجيلانى، المعروف بميرزا القمى المتوفى(١٢٣١ هـ.ق) في أصول الفقه . وظل هذا الكتاب يدرس فى الحوزات الدينية الشيعية لسنوات طويلة ، ونظرًا لأهمية الكتاب ألف عدد من العلماء العديد من الحواشى عليه.

- قوانين الاصول:سايت مدرسه ٶ فقهى امام محمد باقر ، تاريخ ورود ١٥/١٠/ ٢٠١٦ ، روى اين لينك :
http://mfeb.ir/pajoo/zekramenu/zekramozue/zkrbook/5007-zkrbook29.html

[٧٩] معالم الدين وملاذ المجتهدين المعروف بالمعالم للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثانى فى الفقه ، وهو من أهم الكتب فى أصول الفقه الشيعى ، ويشمل أمهات المسائل الأصولية .

- عبد الحسين الصالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ص ١٥٩

[٨٠] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد الله بن يوسف الشهير بابن هشام م (٧٦١هـ.ق/ ١٣٦٠ م) ، يحتوي هذا الكتاب على ثمانية أبواب ، ويدرس الكثير من الطلاب غير العرب الباب الأول فى مفردات اللغة العربية ، والباب الرابع في أحوال الجمل الّتي لها محل من الإعراب والجمل الّتي لا محل لها من الإعراب.

- على جواد : الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة تاريخ زاخر بالعلم والعطاء :
http://www.alhodamag.com/index.php/post/30

[٨١] لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار المعروف بشرح المطالع من تآليف قطب الدين الرازى المتوفى (٧٦٦هـ.ق/ ١٣٦٥) فى المنطق . والكتاب الأصلى لهذا الشرح هو مطالع الأنوار لسراج الدين الأزموى ، وهو من أفضل كتب المنطق ، وتداول بين الطلاب . أنظر :

- عبد الحسين الصالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ص ٦٢

[٨٢] تجريد الاعتقاد أو تجريد الكلام تأليف نصيرالدين طوسى المتوفى (٦٧٢ هـ.ق) فى العقيدة وعلم الكلام ، وقد ألف علاء الدين على بن محمد القوشجى المتوفى (٨٧٩ هـ.ق) شرحًا على هذا الكتاب ، ويدرس خلال مرحلة السطوح ضمن كتب علم الكلام .

- ايرانيان و پيروزى اسلام : سايت كانون ايرانى پژوهشگران فلسفه وحكمت ، تاريخ ورود ٢٠١٦/١٠/١٩ ، روى اين لينك :
http://www.iptra.ir/vdcf6wydd.html

- جمع من العلماء : نصوص الدراسة فى الحوزة العلمية ، تحقيق وتقديم محمد حسين الحسينى الجلالى ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٨٨ ، ص ٤٤٠

[٨٣] سياحت شرق : ص ٧٢

[٨٤] المصدر السابق : حاشية ص ١٥٨

[٨٥] المصدر السابق : ص ١٥٨- ١٥٩

[٨٦] المصدر السابق : ص ١٥٩ -١٦٠ ، ١٦٢

[٨٧] سياحت شرق : ص ١٦١ ،١٦٢ ، ١٦٣

[٨٨] المصدر السابق : ص ١٨٣ ، ١٨٤

[٨٩] المصدر السابق : ص ٢١٤

[٩٠] المصدر السابق : ص ١٩٦ ، ١٩٧

[٩١] آية الله السيد عادل العلوى : سؤال حول زيارة عاشورا؟، الصفحة الرسمية للسيد عادل العلوى ، ٢٧-٢-٢٠٠٨ ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٠ ، على الرابط التالى :

http://www.alawy.net/ar/106/10606016.htm

[٩٢] سياحت شرق : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥
[٩٣] المصدر السابق : ص ٢١٢ ، ٢١٣
[٩٤] سياحت غرب يا سرنوشت ارواح پس از مرگ ، پيشگفتار سيد محمد موسوى ، ٨ ـ ٩
[٩٥] سياحت شرق : ص ٢٨١
[٩٦] المصدر السابق : ص ٢٩٤ـ٢٩٥
[٩٧] المصدر السابق : ص ١٨٦
[٩٨] المصدر السابق : ص ٣٢٥ ، ٣٢٦
[٩٩] المصدر السابق : ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢
[١٠٠] المصدر السابق : ص ٣٢٣
[١٠١] المصدر السابق : ص ٣٢٩
[١٠٢] المصدر السابق : ص ٥١٢، ٥١٣
[١٠٣] المصدر السابق : ص ٥٢٤
[١٠٤] المصدر السابق : ص ٣٤٥
[١٠٥] المصدر السابق : ص ٣٤٧ ، ٣٤٨
[١٠٦] المصدر السابق: ص ٧٥
[١٠٧] المصدر السابق : ص ١٦٨
[١٠٨] المصدر السابق : ص ٣٢٠
[١٠٩] المصدر السابق : ص ٥٣٠ ، ٥٣١
[١١٠] القرآن الكريم : سورة الأنفال ، الآية ٤١
[١١١] موسى الموسوى : الشيعة والتصحيح – الصراع بين الشيعة والتشيع ، ، ويل شاير ، الولايات المتحدة الأمريكية ، المجلس الإسلامى الأعلى ، ١٩٨٨ م،ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٤
[١١٢] أحكام الخمس عند الشيعة الإمامية مطابقة لفتاوى مراجع الشيعة المعاصرين ، موقع عقائد الشيعة الإمامية ، مدير الموقع ، توفيق حسين فتح الله ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٧ ، على الرابط التالى :
http://www.aqaedalshia.com/ahkam/khoms/index.htm
[١١٣] حسن الحسينى القزوينى : الخمس فى الشريعة الإسلامية – تشريعه وأحكامه ، ط ٢ ، بيروت ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ م ،ص ١٣٥ ، ١٣٦
[١١٤] حسن الحسينى القزوينى : الخمس فى الشريعة الإسلامية – تشريعه وأحكامه ص ١٣٦، ١٣٩
[١١٥] عبد الحسين صالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ص ٥٧ـ٥٩
[١١٦] السيد على الحسينى السيستانى : صلاة الاستئجار ، مسألة ٧٥٢، موقع المرجع على الحسينى السيستانى ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٦ ، على الرابط التالى :
http://www.sistani.org/arabic/book/23720/3614/
[١١٧] السيد محمد كاظم اليزدى : هو أحد مراجع الشيعية الإيرانيين البارزين فى النجف، كان له تأثير كبير فى الحياة الدينية والسياسية ، وتعد كتبه الفقهية من أهم المصادر الفقهية لدى الشيعة .ولد عام ١٢٣٧ هـ.ق / ١٨٢١م فى قرية كسنويه التابعة لمدينة يزد ، درس الأدب ومقدمات العلوم فى يزد ثم انتقل إلى مشهد لاستكمال الدراسة ومنها إلى إصفهان ودرس على أيدى أبرز علمائها ، وأحرز مراكز علمية رفيعة . وبعد وفاة المرجع الشيخ مرتضى الأنصارى (صاحب المكاسب) عام ١٢٨١هـ.ق وصل إلى النجف ، وتتلمذ على أيدى علمائها ، وبعد هجرة الميرزا الشيرازى عام ١٢٩١ هـ.ق إلى سامراء كان يقوم بتدريس الفقه وغيره من العلوم الدينية فى النجف . وأصبح عام ١٣٢٩ هـ.ق / ١٩١١م زعيم الشيعة الأعلى على مستوى العالم بعد وفاة المرجع آية الله آخوند الخراسانى . توفى عام ١٣٣٧ هـ.ق / ١٩١٨ م . أنظر :

- رضا رمضان نرگسی : آیت الله سید محمد کاظم طباطبائی یزدی و مشروطه ، فصلنامهٔ آموزه ، موسسهٔ آموزشی و پژوهشی امام خمینی ، شماره ٥ ، پاییز ١٣٨٣ ، ص ٢٨٣
- علی نقی ذبیح زاده : نقش آیة الله سید محمد کاظم یزدی در نهضت مشروطه ، قم ، نشریهٔ معرفت ، موسسهٔ آموزشی و پژوهشی امام خمینی ، شماره ٥٠ ، بهمن ١٣٨٠ ، ص ١١١، ١١٨

[١١٨] سیاحت شرق : ص ٢٩٧
[١١٩] المصدر السابق : ص ٥٣٢
[١٢٠] المصدر السابق: ص ٥٣٨ ، ٥٣٩
[١٢١] المصدر السابق : ص ٥٣٤
[١٢٢] المصدر السابق : ص ٣٢٥
[١٢٣] المصدر السابق : ص ٧١
[١٢٤] المرجع السابق : ص ٣٦٧
[١٢٥] المصدر السابق : ص ٢٩٥
[١٢٦] المصدر السابق : ص ٧١ ، ٧٢
[١٢٧] المصدر السابق : ص ٧٧ ، ٧٨
[١٢٨] الشیخ عبد الله المازندرانی (1259-1331هـ. ق/ ١٨٤٣ – ١٩١٣م) من الزعامات الدینیة البارزة المقیمة فی النجف وکان من حلفاء الآخوند محمد کاظم الخراسانی فی مواقفه السیاسیة . أنظر
- غلامرضا جلالی : مشروعه در بوته نقد علمای مشروطه خواه ،فصلنامهٔ مطالعات تاریخی ، تهران موسسهٔ مطالعات و پژوهشهای سیاسی ، شماره ١٥ ، زمستان ١٣٨٥ ، ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠

[١٢٩] سیاحت شرق : ص ٤٢٠
[١٣٠] المصدر السابق : ص ٧٣ ، ٧٤
[١٣١] السکنجبین مخلوط من العسل والخل والسکر لدفع الصفراء .
[١٣٢] سیاحت شرق : ص ١٦٨ ، ١٦٩
[١٣٣] المصدر السابق : ص ٢١٤ ، ٢١٥
[١٣٤] المصدر السابق : ص ٣٦٧ ، ٣٦٨
[١٣٥] المصدر السابق : ص ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨
[١٣٦] المصدر السابق : ص ٧٩
[١٣٧] مسجد الشاه : من أهم مساجد مدینة إصفهان ، ویوجد فی میدان نقش جهان ، ویطلق علیه الآن أیضًا مسجد الإمام .
[١٣٨] سیاحت شرق : ص ١٦٠ ، ١٦١
[١٣٩] المصدر السابق : ص ١٦٥ ، ١٦٨
[١٤٠] المصدر السابق: ص ٢٨٣
[١٤١] المصدر السابق : ص ٢٩٢
[١٤٢] المصدر السابق : ٣٢٩
[١٤٣] المصدر السابق : ص ٣١٢ ـ ٣١٤
[١٤٤] المصدر السابق : ص ٣٤١ ، ٣٤٢
[١٤٥] المصدر السابق: ص ٣١٦
[١٤٦] المصدر السابق: ص ٣٩٨،٣٩٧
[١٤٧] هو حبیب بن مظاهر الأسدی ، وکان من صحابة الرسول صلی الله علیه وسلم ، نزل بالکوفة ،وصحب علی بن أبی طالب فی حروبه کلها، وهو أول من کاتب الحسین وطلب منه التوجه إلی العراق لغرض

المبايعة . وناصر الحسين فى واقعة الطف (كربلاء) ٦١هـ واستشهد بها، وتولى ميسرة الحسين ، ويوجد قبره فى كربلاء بالرواق الجنوبى لمرقد الحسين .

- جعفر الخليلى : موسوعة العتبات المقدسة ، المجلد الأول ، ص ١٣٠

[١٤٨] سياحت شرق : ص ٣٩٥

[١٤٩] المصدر السابق: ص ٤٠٥

[١٥٠] السؤال :كيف تكون صلاة الاستخارة؟ الجواب :توجد عدة صلوات للاستخارة ،منها صلاة الاستخارة ذات الرقاع، وصفتها أنك إذا إردت أمراً فخذ ست رقاع واكتب على ثلاثة منها بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعل ، وعلى ثلاثة اخرى لاتفعل عوض افعل، ثم ضعها تحت مصلاك، ثم صل ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة ، وقل فيها مائة مرة(استخيرالله برحمته خيرة في عافية) ثم استو جالساً وقل (اللهم خرلى واخترلى في جميع أمورى فى يسرمنك وعافية) ثم اضرب بيدك إلي الرقاع فشوشها ، ثم اخرج واحدة فان خرج ثلاث متواليات افعل ، فافعل الامرالذى تريده ، وإن خرج ثلاث متواليات لاتفعل، فلاتفعله. وإن خرجت واحدة افعل والاخري لاتفعل ، فاخرج من الرقاع إلى خمس ، فانظر أكثرها فإن كانت ثلاث منها افعل ، واثنتان لاتفعل ، فافعل الأمرالذى تريده ، وإن كانت بالعكس فلا تفعله .

- السيد على الحسينى السيستانى : كيف تكون صلاة الاستخارة؟ ، الموقع الرسمى لمكتب السيد على الحسينى السيستانى، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١١ ، على الرابط التالى :

http://www.sistani.org/arabic/qa/0553/

[١٥١] سياحت شرق : ص ٤١٧

[١٥٢] المصدر السابق: ص ٤٣١

[١٥٣] المصدر السابق : ص ٤١٩

[١٥٤] المصدر السابق: ص ٤٢٢

[١٥٥] المصدر السابق: ص ٤٤٣

[١٥٦] جعفر رسوليان : الصفويون والقاجاريون ، مركز التنوير للدراسات الإنسانية ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى :

http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20036&page_id=0&page_size=True&links=false

[١٥٧] يعرف بميرزا حسين خليلى الطهرانى ، ولد فى قم عام ١٢٣٠ هـ ق / ١٨١٥ م ، و توفى ١١ شوال ١٣٢٦ هـ ق / ١٩٠٨م فى السهلة عن عمر السادسة والتسعين ، ودفن بالنجف . وكان أول العلماء الذين وقعوا على الدستور ، ولعب دورًا بارزًا فى دعم الثورة الدستورية ، ويذكر أنه كفر محمد على شاه ودعا لخلعه . أنظر :

- محمدعلى نجفى كرمانشاهى : آيات ثلاث و انقلاب مشروطه با مطالعه موردى ميرزا حسين خليلى تهرانى ، پايگاه سيد ابوالحسن توفيقيان ، چهارشنبه دهم اسفند ١٣٩٠، تاريخ ورود ١٠/١١ / ٢٠١٦ ، روى اين لينك :

http://tofighiyan.blogfa.com

[١٥٨] سياحت شرق : ص ٣٦٦

[١٥٩] سياحت شرق: : ص ٣٦٦ ، ٣٦٧

[١٦٠] المصدر السابق : ص ٤٦٠ ، ٤٦١

[١٦١] على اصغر شميم : ايران در دورهٔ سلطنت قاجار (قرن سيزدهم ونيمهء اول قرن چهاردهم ، چاپ ششم ، تهران ، انتشارات زرياب ، ١٣٩٠ ، ٥٢٧-٥٢٨

[١٦٢] لطف الله آجدانى : علما وانقلاب مشروطيت ، چاپ سوم ، تهران ، كتاب آمه ، ١٣٩٠ ، ص ٨٨

[١٦٣] المرجع السابق : ص ٩١

[١٦٤] سياحت شرق : ص ٤٦٧ ، ٤٦٨

[١٦٥] عبد الهادی حائری : تشیع ومشروطیت در ایران ونقش ایرانیان مقیم عراق ، تهران ،چاپ دوم ، چاپخانه سپهر ، ١٣٦٤ ، ص ١١٣
[١٦٦] سیاحت شرق : ص ٤٦٩ ٤٧٠
[١٦٧] عبد الهادی حائری : تشیع ومشروطیت در ایران ونقش ایرانیان مقیم عراق ، ص ١١٧
[١٦٨] علی اصغر شمیم : ایران در دورهء سلطنت قاجار ، ص ٥٦١ ، ٥٦٤
[١٦٩] عبد الرضا هوشنگ مهدوی : تاریخ روابط خارجی ایران ، تهران ، چاپخانه سپهر ، ١٣٤٩ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠
[١٧٠] نیکی آر. کدی : ایران دوران قاجار وبر آمدن رضا شاه ، ترجمهٔ مهدی حقیقت خواه ، چاپ اول ، تهران ، انتشارات ققفوس ، ١٣٨١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٩-١١٠
[١٧١] سیاحت شرق : ص ٤٧٩
[١٧٢] المصدر السابق : ص ٤٨٠-٤٨٢
[١٧٣] عبد الرضا هوشنگ مهدوی : تاریخ روابط خارجی ایران ، ١٩١
[١٧٤] سیاحت شرق : ص ٤٨٣
[١٧٥] المصدر السابق : ص ٤٨٤
[١٧٦] المصدر السابق : ص ٥١٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : **مصادر باللغة العربية**:

١. السيد النجفى القوجانى : سياحة فى الشرق ، ترجمة لجنة الهدى ، ط ١ ، بيروت ، دار البلاغة ، ١٩٩٢ .

ثانياً : **مصادر باللغة الفارسية** :

١. آقا نجفى قوچانى : سياحت شرق ، باز نويسى ومقدمه ٔ مژگان شيخى ، چاپ دوم ، تهران ، مؤسسه ٔ انتشارات قديانى ، ١٣٨٠ .

٢. ـــــــــــــــ : سياحت شرق يا زندگى نامه آقا نجفى قوچانى بقلم خودش ، تصحيح رمضان على شاكرى، چاپ سوم، تهران ، مؤسسه ٔ انتشارات امير كبير، ١٣٦٧ .

٣. ـــــــــــــــ : سياحت غرب يا سرنوشت ارواح پس از مرگ ، با پيشگفتار سيد محمد موسوى ، چاپ چهارم ، تهران ، نشر جهان آرا، ١٣٨٠ .

٤. ـــــــــــــــ : وصايای ارسطو به شيماس ، شرح رساله تفاحيه ، مقدمه وتصحيح محمد رضا عطائى ، چاپ اول ، تهران ، نشر هفت ، ١٣٧٨ .

ثالثاً : **مراجع باللغة العربية** :

١. ثامر عبد الحسن العامرى : المراقد والمزارات فى العراق ، بغداد ، أسفار للطباعة ، ب. ت .

٢. جعفر الخليلى : موسوعة العتبات المقدسة ، المجلد الأول ، ط ٢ ، بيروت ، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٨٧.

٣. جعفر باقر آل محبوبه : ماضى النجف وحاضرها ، المجلد الأول ، ط ٢ ، بيروت ، دار الأضواء ، ١٩٨٦ .

٤. جمع من العلماء : نصوص الدراسة فى الحوزة العلمية ، تحقيق وتقديم محمد حسين الحسينى الجلالى ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٨٨ .
٥. حسن الحسينى القزوينى : الخمس فى الشريعة الإسلامية – تشريعه وأحكامه ، ط ٢ ، بيروت ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ م .
٦. عبد الحسين الصالحى : الحوزات العلمية فى الأقطار الإسلامية ، ط ١، بيروت ، بيت العلم للنابهين ، ٢٠٠٤ .
٧. عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ضبط المتن ووضع الحواشى والفهارس خليل شحادة ، راجعه سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠١ .
٨. فهمى هويدى : إيران من الداخل ، ط ٤ ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ،١٤١٢هـ- ١٩٩١ م.
٩. موسى الموسوى : الشيعة والتصحيح – الصراع بين الشيعة والتشيع ، ويل شاير ، الولايات المتحدة الأمريكية ، المجلس الإسلامى الأعلى ، ١٩٨٨ م.

رابعاً : مراجع باللغة الفارسية :

١. ايرج امانپور قرائى : نگاهى به زندگى آقا نجفى قوچانى و مزارش ، فصلنامه مشكوة ، مشهد، موسسه ٔ چاپ و انتشارات آستان قدس رضوى ، شماره ٤٩ ، زمستان ١٣٧٤.
٢. پيتر آورى : تاريخ معاصر ايران از تأسيس تا انقراض قاجاريه ، ترجمه محمد رفيعى مهر آبادى ، چاپ سوم ، تهران، مؤسسه ٔ انتشارات عطايى ، ١٣٧٣.
٣. حسين حاتمى : مرجعيت ومشروطه ، ماهنامه كتاب ماه ، تهران ، شماره ١٣٦، شهريور ١٣٨٨ .

٤. حمید رضا شاه آبادی : من و مُردم (نگاهی به رسالهٔ «سیاحت غرب» اثر آقا نجفی قوچانی) ماهنامه ٔ ادبیات داستانی ، حوزه ٔ هنری ، تهران ، شماره ۳۷ ، مهر ۱۳۷٤ .

٥. رضا رمضان نرگسی : آیت الله سید محمد کاظم طباطبائی یزدی و مشروطه ، فصلنامه آموزه ، موسسه ٔ آموزشي و پژوهشی امام خمینی ، شماره ٥ ، پاییز ۱۳۸۳

٦. عبد الرضا هوشنگ مهدوی : تاریخ روابط خارجی ایران ، تهران ، چاپخانه سپهر ، ۱۳۴۹ .

۷. عبد الهادی حائری : تشیع ومشروطیت در ایران ونقش ایرانیان مقیم عراق ، تهران ،چاپ دوم ، چاپخانه سپهر، ۱۳٦٤.

۸. علی اصغر شمیم : ایران در دورهٔ سلطنت قاجار (قرن سیزدهم ونیمهٔ اول قرن چهاردهم) ، چاپ ششم ، تهران، انتشارات زریاب ، ۱۳۹۰ .

۹. علی رضا جواد زاده (جهانشاه لو) : تأمّلاتی درباره دو کتاب تاریخی از آقا نجفی قوچانی: (بررسی خاطرات و تاریخ نگاری) شخصیت و دیدگاه‌های ،فصلنامهٔ آموزه ، موسسهٔ آموزشی و پژوهشی امام خمینی ، قم ، شماره ٤، تابستان ۱۳۸۳ .

۱۰. علی رضا ذکاوتی قراگزلو : سفرنامهٔ گوهر مقصود ، فصلنامهٔ آیینه میراث ، دورهٔ جدید ، شماره ۲۱ ، تهران تابستان ۱۳۸۲ .

۱۱. علی نقی ذبیح زاده : نقش آیة الله سید محمد کاظم یزدی در نهضت مشروطه ، قم ، نشریه معرفت ، موسسهٔ آموزشی و پژوهشی امام خمینی ، شماره ٥۰ ، بهمن ۱۳۸۰ .

۱۲. غلامحسین یوسفی ودیگران : زبان وادبیات فارسی (عمومی) برگزیده ی متون فارسی – مباحث دستور وزبان شناسی ، مقالهٔ در آمدی بر حسب حال نویسی ، چ ۱، تهران ، نشر چشمه ، ۱۳۷۸ .

١٣. غلامرضا جلالی : مشروعه در بوته– نقد علمای مشروطه خواه ،فصلنامهٔ مطالعات تاریخی ، تهران موسسهٔ مطالعات و پژوهشهاي سياسي ، شماره ١٥ ، زمستان ١٣٨٥ .

١٤. لطف الله آجدانی : علما وانقلاب مشروطیت ، چاپ سوم ، تهران ، کتاب آمه ، ١٣٩٠ .

١٥. محمود فرجامی : سیاحت ملیح شرق (نگاهی به طنز انسانی آقا نجفی قوچانی) ، ماهنامهٔ خردنامه همشهری، موسسهٔ همشهری، تهران ، شماره ٢٤ ، ایرانچاپ ، اسفند ١٣٨٦ .

١٦. میر لیتواك : بررسی جمعیت شناختی علمای نجف وکربلا در خلال سالهای ١٢٠٥–١٣٢٢ ق ، ترجمهٔ نصر الله صالحی ، قم ، فصلنامه ٔ شیعه شناسی ، مؤسسه ٔ شیعه شناسی ، شماره ١٠ ، ١٣٨٤ .

١٧. نور الله کسایی : مدارس قدیم تهران در عصر قاجار ، فصلنامهٔ نامهٔ فرهنگ ، معاونت فرهنگی وزارت ارشاد اسلامی، تهران ، شماره ٣٠ ، تابستان ١٣٧٧ .

١٨. نیکی آر. کدی : ایران دوران قاجار وبر آمدن رضا شاه ، ترجمهٔ مهدی حقیقت خواه ، چاپ اول ، تهران، انتشارات قفقوس ، ١٣٨١ .

١٩. یعقوب توکلی : آقا نجفی قوچانی و گزارشی از نخستین اشغال عراق ، ماهنامهٔ زمانه ، تهران، سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی ، خرداد ١٣٨٢.

خامساً : مقالات إلكترونية باللغة العربية :

١. أحكام الخمس عند الشيعة الإمامية مطابقة لفتاوى مراجع الشيعة المعاصرين ، موقع عقائد الشيعة الإمامية ، مدير الموقع ، توفيق حسين فتح الله ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٧ ، على الرابط التالي :

http://www.aqaedalshia.com/ahkam/khoms/index.htm

٢. آية الله السيد عادل العلوى : سؤال حول زيارة عاشورا؟، الصفحة الرسمية للسيد عادل العلوى ، ٢٧-٢-٢٠٠٨ ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٠ ، على الرابط التالى :
http://www.alawy.net/ar/106/10606016.htm

٣. تاريخ الحركة العلمية فى كربلاء : شبكة كربلاء المقدسة ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٤ ، على الرابط التالى :
http://www.holykarbala.net/books/tarikh/haraka-ealmiya/18.html

٤. جعفر رسوليان : الصفويون والقاجاريون ، مركز التنوير للدراسات الإنسانية ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى :
http://www.altanweer.net/articles.aspx?id=20036&page_id=0&page_size=True&links=fals

٥. السيد صادق الحسينى الشيرازى : المدارس القديمة ، حوزة كربلاء المقدسة ، الموقع الرسمى للمرجع صادق الحسينى الشيرازى ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٦ ، على الرابط التالى :
http://www.alshirazi.net/hawza/1/2.htm

٦. السيد على الحسينى السيستانى : صلاة الاستئجار ، موقع المرجع على السيد الحسينى السيستانى، مسألة ٧٥٢، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١٦ ، على الرابط التالى :
http://www.sistani.org/arabic/book/23720/3614/

٧. ــــــــــــــــــ : كيف تكون صلاة الاستخارة؟ ، الموقع الرسمى لمكتب السيد على الحسينى السيستانى، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/١١ ، على الرابط التالى :
http://www.sistani.org/arabic/qa/0553/

٨. السيد محمّد الغروى : الحوزة العلمية في النجف الأشرف- دراسة تاريخية ، نسخة إلكترونية ، موقع حيدرية ، تاريخ الدخول ، ٢٠١٦/١٠/٢١ ، على الرابط التالى:
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/21/book_29/main.htm

٩. على جواد : الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة تاريخ زاخر بالعلم والعطاء ، مجلة الهدى، تصدر عن دار الهدى للثقافة والعلوم ، 2012/05/04 ، الصفحة الأولى ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى:

http://www.alhodamag.com/index.php/post/30

١٠. نبذة مختصرة عن تاريخ الحوزة العلمية – عصر النشوء موقع الحوزة الزينبية ، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٠ ، على الرابط التالى :

https://islamicbooksinfo.fatcow.com/H-26-V-Arabic/V-Al-Howza%20General.htm

سادساً : **مقالات إلكترونية باللغة الفارسية** :

١. ایرانیان و پیروزی اسلام : سایت کانون ایرانی پژوهشگران فلسفه وحکمت ، تاریخ ورود ٢٠١٦/١٠/١٩ ، روی این لینك :

http://www.iptra.ir/vdcf6wydd.html

٢. قوانین الاصول:سایت مدرسه ٔ فقهی امام محمد باقر ، تاریخ ورود ١٥/١٠/ ٢٠١٦ ، روی این لینك :

http://mfeb.ir/pajoo/zekramenu/zekramozue/zkrbook/5007-zkrbook29.html

٣. محمدعلی نجفی کرمانشاهی : آیات ثلاث و انقلاب مشروطه با مطالعه موردی میرزا حسین خلیلی تهرانی ، پایگاه سید ابوالحسن توفیقیان ، چهارشنبه دهم اسفند ١٣٩٠، تاریخ ورود ١٠/١١ / ٢٠١٦ ، روی این لینك:

http://tofighiyan.blogfa.com

٤. مختار اصلانی : شهرهای مقدس شیعه ، پایگاه اندیشه قم ، مرکز مطالعات و پژوهش های فرهنگی حوزهٔ علمیه، تاریخ ورود ٢٠١٦/٩/٢٧ ، روی این لینك :

http://www.andisheqom.com/public/application/index/viewData?c=4435&t=article#_ftnref2

٥. مدرسه پریزاد مشهد : سایت نشاط آوران ،سایت گردشگری ایران "نشاط آوران"، تاریخ ورود ٢٠١٦/١٠/٢٥، روی این لینك :

http://www.eneshat.com/attractions-city/mashhad/parizad-mashhad

٦. مدرسهٔ دودر مشهد : سایت گردشگری ایران "نشاط آوران" ، تاریخ ورود ٢٥/١٠/٢٠١٦ ، روی این لینك :

http://www.eneshat.com/attractions-city/mashhad/twodoor-school

سابعاً : **دوائر معارف باللغة الإنجليزية** :

1. Encyclopaedia Britannica, Paul Doumer President of France, 5-10-2016, https://www.britannica.com/biography/Paul-Doumer